خاتمـــة

obeikandl.com

-١

الويل لذلك المجتمع المتشظي بالطوائف والمحتقن بالأحقاد التاريخية. فالتاريخ ينقل فظاعات مرعبة في اختلاف المذاهب واقتتال الطوائف، ففي فرنسا عاشت حمى المذابح الطائفية بين الكاثوليك والهوجنوت المنشقين بين عامي ١٥٦٢ - ١٥٩٤، وغرقت ألمانيا في الدم في حروب الثلاثين سنة بين عامي ١٦١٨ - ١٦٤٨، وفي بريطانيا استعرت الحروب الأهلية الدينية بين عامي ١٦٤٢ - ١٦٤٨. إن في ذلك لآيات للمتوسمين. أما (حكم الدم) في عهد (كاترين ميدتشي) فقد جرى الاحتفال به في الساعة الثالثة من صباح ٢٤ أغسطس في باريس من عام ١٥٧٢ بمناسبة عيد القديس (بارتولوميو) حيث أعطى الملك (شارل) أوامره على الشكل التالي: "يجب أن تقتلوا جميع الهوجنوت في فرنسا حتى لا يبقى منهم أحد يلومني... اقتلوهم جميعاً! اقتلوهم جميعاً!" وبدأ قرع الأجراس بعد ان وسمت بيوت الهوجنوت بعلامات.

وابتدأ الذبح بعد أن أغلقت أبواب باريس عليهم. يقول ديورانت: "وتلت مذبحة ندر ان عرفتها المدن حتى في جنون الحرب" وجر الهوجنوت وابناؤهم الى الشوارع وذبحوا من الوريد للوريد وانتزعت الأجنة من بطون امهاتهم القتيلات وهشموا. "وأغرق غيرهم في السين". "وما لبثت الجثث أن تناثرت على أرصفة الشوارع واخذ الصبية يلعبون فوقها، ودخل حرس الملك السويسريون وراحوا يذبحون في غير تمييز للذة الذبح الخالصة. ذكر السفير الاسباني في تقريره: انهم يقتلونهم جميعاً وانا اكتب هذا.. انهم يعرونهم.. ولا يعفون أحدا حتى الأطفال».

وحدث في يوم الخامس والعشرين من الشهر بعد أن هدأت المذبحة قليلاً ان "شجيرات الشوك البري أزهرت في غير أوانها في مقبرة الأطفال، فهلل الكهنة للأمر وحسبوه معجزة وقرعت اجراس الكنائس في باريس احتفالاً به، وظنت الجماهير ان هذا

القرع هو دعوة الى تجديد المذبحة فاستؤنف القتل مـــن جديـــد" وانتقلت عدوى الذبح من باريس الى بقية الاقاليم فارتكبت مذابح جنونية في ليون وديجون وأورليان وتور وتروا وروان وتولوز وشجع الملك على الإبادة وأرسلت أوامر شفوية لحكام الأقاليم "أن اقتلوا جميع زعماء الهوجنوت. وأما صدى هذه المذبحة فقد أضحكت الملك الاسباني (فيليب الثاني) على غير عادته بعد طول عبوس وتجهم لسنوات حينما سمع النبأ.

وأما ممثل الكرسي البابوي في باريس فقد هنأ البابا بقولـه: "أهنئ قداسة البابا مـــن أعماق قلبي على أن الله جل جلاله شاء ان يوجه شؤون المملكة توجيهاً غايـــة في التوفيـــق والنبل، حتى يستأصل شأفة هذا الوباء بكثير من الحكمة وفي اللحظة المناســـبة" وحين زف الخبر الى الفاتيكان "أضيئت روما وأطلقت المدفعية من قلعة سان انجلوا وقرعت الاجراس في ابتهاج وحضر جريجوري الثالث عشر وكرادلته قداساً مهيباً لشكر الله على «هذا الرضـــا الرائع الذي ابداه الله للشعب المســـيحي" والذي أنقذ فرنسا والكرسي البابوي من خطر عظيم. وتيمناً بهذا اليوم التاريخي فقد أمر البابا "بضرب ميدالية خاصـــة تـــذكاراً بهزيمـــة الهوجنوت ومذابحهم". أما حرب الثلاثين عاماً فكانت أشد هولاً وأعظم نكراً وامتدت من عام ١٦١٨ - ١٦٤٨. ويصفها (ديورانت) هكذا: "تناقص عدد سكان ألمانيا بسرعة أثنـــاء الحرب. وتقول التقديرات المعتدلة بأن عدد سكان ألمانيا والنمسا هبط من (٢١) إلى (١٥) مليوناً وبين (٣٥) ألف قرية في (بوهيميا) هناك نحو (٢٩) ألف قرية هجرها أهلوها أثنـــاء الصراع. وهناك في مختلف أنحاء الإمبراطورية مئات من القرى لم يبق فيها ساكن واحد، وقد يقطع المرء في بعض الأقاليم ستين ميلاً دون أن يرى قرية أو بيتاً، وتنافس الرجال والنســـاء مع الغربان والكلاب على لحم الخيول الميتة، وفي الإلزاس انتزع المعتدون المشـــنوقين مـــن المشنقة تلهفاً على التهام جثثهم، وفي أرض الراين كانت القبور تنبش وتباع الجثث لتؤكل، واعترفت امرأة في مدينة (الســـاربروكن – Saarbrueken) بأنهـــا أكلـــت طفلـــها، وأصبحت المدن الكبرى اطلالاً خربة، وبات كرام الناس يتسولون أو يسرقون ويسلبون من

اجل لقمة العيش، وأصبح الهواء سماً بسبب الفضلات والنفايات والجثث المتعفنة في الشوارع، وانتشرت الأوبئة مثل التيفوس والدوسنطاريا والتيفود والاسقربوط بين السكان المذعورين، ومرت القوات الاسبانية بمدينة ميونيخ فتركت وراءها طاعوناً أودى بحياة عشرة آلاف ضحية في أربعة أشهر، وذوت وذبلت في أتون الحرب الفنون والآداب التي كانت تضفي على المدن شرفاً ومجداً، وانهارت الأخلاق والروح المعنوية على حد سواء، واختفت كل المثل الدينية والوطنية بعد جيل ساده العنف".

-٢

إن سؤال الهوية قديم قِدَم تمايز الأشخاص والأقوام ولا يكاد يختلف اثنان على وجود هذا التمايز ورسوخه ولا على أهمية التمسك بهوية على الصُعد الشخصية والوطنية والقومية، لكن السؤال الذي يقدَّم الآن على أنه سؤال معضل هو: هل الهوية ومكوناتها تنتمي إلى ما هو جوهري ثابت ونهائي تام بشكل مطلق أم أنها مما يشمله التغيير والتعديل تأثراً وتأثيراً بالغير ومعطيات المحيط وتمشياً مع التطور الذي يشمل البيئة والمفاهيم والمنتجات والعلاقات ومن ثم الأشخاص والأقوام والأمم والأوطان والدول في عالم غدت سمته الأولى الانفتاح والتواصل والتفاعل؟!

والإجابة على هذا السؤال تستدعي البحث والتدقيق في المقومات الرئيسة للهوية ومن ثم التعرف ما إذا كانت هذه المقومات تتعرض للتبدل والتغيّر، ولا نقول التحوُّل والتلون، أم أنها ثابتة شأن الجواهر في المعادن تصدق فيها أوصاف التحجر كما يحلو للبعض أن يقول، أم أنها مشمولة بقانون التطور والنمو، شأنها في ذلك شأن كل حي متفاعل في أثناء الحياة مع معطيات الحياة والتطور، وهي تنمو مع المحافظة على السمات الأساس للجوهر الذي تتكون منه وتتأسس عليه معطيات هويته ومقومات الشخصية؟.

والهوية حسب الجرجاني "هي الوجود المخص الصريح المستوعب لكل كمال وجودي وشعوري"، وحسب الموسوعة الفلسفية العربية فإن الهوية: "ما به الشيء هو هو بوصفه وجوداً منفرداً متميزاً عن غيره). وبناء على هذا فإن لكل إنسان فرد هوية يعرف بها وله منها وبها: اسم وقوام وصفات خاصة وسمات فارقة، ويتمايز عن سواه في نتيجة وخلاصة تكوين الكيانات الثلاثة الرئيسة التي تكون الشخصية: الكيان الجسمي بتحديداته، الكيان الاجتماعي بمعطياته المادية والمعنوية، والكيان النفسي - الروحي الذي يتكون بالدرجة الأولى من تفاعل الكيانين الأول والثاني بعمق في بوتقة: الطبيعة والبيئة والناس والمعطيات الشعبية والمعرفية والعلمية والدينية ويكتسب خصوصيته الفكرية والإبداعية والمهنية والاجتماعية وكذلك الأبعاد المكملة لها أو المستمدة منها في أثناء (عملية التواصل والتفاعل) العميقة المستمرة التي قد تكون تجربة خلاقة شديدة التمايز والحضور والتأثير أو تكون خاملة بدرجة ملحوظة لا تظهر آثارها إلا في النمو الجسمي والتطور العقلي - المعرفي - المهني المحدود بدرجات متفاوتة ولكنها أدنى من تلك التي تحدث انقلاباً نوعياً في التكوين يذهب بعيداً في المدى السلبي أو الإيجابي. وفي الأحوال جميعاً تتكون في هذا المسار المتنامي شخصية الفرد وتتضح وتتعزز مقوماتها وقيمها ومعاييرها وخصوصيتها.

وإذا أخذنا حال الهوية ومن ثم الشخصية المتمايزة في المجال الفردي مقياساً نقيس عليه الجمعي المتصل بجماعات وشعوب وقبائل وأقوام، ومن ثم بأوطان وأمم وجدنا أن لكلِ هوية وشخصية وخصوصية يقيمها الوعي المعرفي بالذات وبالآخر وبما للذات والآخر من حضور وثقافة وحضارة وحقوق وواجبات ترتب عليه التزامات قومية ووطنية وإنسانية، **وتحدد معالم تلك الشخصية بالدرجة الأولى:**

1 - اللغة بما حملت من خصائص بوصفها حاملاً للمعرفة ولأهم أدواتها له

خصوصية انتماء بشري منحته نمطاً أو صيغاً أو ومن حمولة معرفية وخلقية وسلوكية تأتت من تراكم عناصر وخصوصيات جزئية وتفصيلية متنوعة وضخمة تكثفت عبر الزمن، ولا سيما في مراحل التكوّن الأولى المديدة للأمم والثقافات والحضارات التي كان فيها التواصل والتفاعل بين الشعوب محدوداً نظراً لتدني وسائل الاتصال وسبل التواصل والتفاعل، وبما حملته أيضاً من معارف وخصوصيات ودلالات، بوصفها أداة تفكير وتعبير وتواصل وموطن ذاكرة حية من جهة ومستودعاً حيوياً للمعرفة والأصالة والذوق والخبرة من جهة أخرى.

2 - العقيدة (الدين) بما تكرسه من منظومات قيم، ومعايير حكم، ومرجعيات احتكام، وأحكام، وحِكَم؛ وبما تقدمه من تفسير ورؤية للعلاقة بين الخالق والمخلوق من جهة، وبين المخلوق والمخلوق والكائنات الأخرى والطبيعة والكون من جهةٍ أخرى، وما ترمي إلى تحقيقه من علاقات وصلات ومعايير، وما ترسّخه في النفس وفي واقع الحياة من قيم ومقومات وقواعد وأصول تستند إليها أسس السلوك والعمل والتعامل بين الناس.

3 - العادات والتقاليد والأعراف، والسمات الخاصة والمشتركة التي تتكوّن من جرّاء تفاعل عوامل ومكوّنات في قرون عديدة، وتقدم تاريخاً وخلاصة توحّدِ بشريٍ لفئات من الناس عبر الزمن مع طبيعة وبيئة في مجتمع، ضمن معطيات تُنتج خصوصيات ومميزات وملامح وأساليب معينة في الحياة.

-٣

قبل نهاية العام ٢٠٠٤ نشرت وول ستريت جورنال نتائج أول استطلاع عالمي للإيمان والإلحاد، ورغم أن الاستطلاع كشف عن حقائق شديدة الأهمية لفهم الدور المتنامي الذي يلعبه الدين في الساسة الدولية إلا أن مجرد إجرائه يظل تحولا تاريخيا

جديرا بالتوقف عنده، فمنذ الثورة الفرنسية والقسم الأكبر من النخب السياسية والثقافية في العالم يعتبر الفصل بين الدين والسياسة حقيقة من الحقائق المستقرة التي لم تعد تقبل الجدل.

"أوربا الكافرة" وصف قاس أطلقه اليمين الدين الأمريكي على حال الدين في الواقع السياسي والثقافي الأوروبي، وهو وصف يلخص المسافة الفاصلة - التي ما زالت تتسع باطراد - بين نموذجين سياسيين بدا لعقود طويلة أنهما متماثلان. الاستطلاع الذي نشرت الجريدة نتائجه في طبعتها الأوروبية أجرته مؤسسة "جي. أف. كا." وترافق نشره مع عيد الميلاد وسبق افتتاح مفاوضات انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي. وقد أجري الاستطلاع في ٢١ دولة في أوروبا الغربية والشرقية - عدا فرنسا - بالإضافة إلى تركيا وروسيا والولايات المتحدة وهو الأول من نوعه.

ومن بين النتائج التي كشف عنها أن ٢٥ % من مواطني أوروبا الغربية يعلنون أنهم لا يؤمنون بالله ويصفون أنفسهم بأنهم "ملحدون" وهي النسبة الأعلى في العالم مقارنة مع:

١٥ % من الملحدين في روسيا.

١٢ % في أوروبا الشرقية.

٨ % في الولايات المتحدة.

١ % في تركيا.

وتأتي الجمهورية التشيكية في طليعة البلدان الملحدة (٤٩%) لتذكرنا بتحذير رئيسها السابق المفكر المعروف فاكسلاف هافل "إن الحضارة الأوروبية هي أول حضارة في التاريخ الإنساني تقوم على الإلحاد". وتأتي بعد تشيكيا هولندا (٤١%) ثم

الدانمارك (٣٧%) ثم بلجيكا (٣٦%) ثم السويد (٣٠%).

ونتوقف عند ألمانيا التي يشير الاستطلاع إلى أن نسبة الملحدين بين سكانها تبلغ (٣٧%)، فرغم أن هذا الاستطلاع الشامل العابر لحدود الدولة هو الأول من نوعه فإن ظاهرة الإلحاد شغلت المجتمع الألماني قبل سنوات، وتشير إحصاءات سابقة أجريت في تسعينات القرن الماضي إلى أن ٤٧% من الألمان يعتبرون أنفسهم لا دينيين و٩% يعتبرون أنفسهم ملحدين وترتفع النسبة في ألمانيا الشرقية إلى ١٨%. ومن الواضح أن درجة من التداخل بين حدود المصطلحين تؤدي لتناقض ظاهر وإن بقيت العبرة الواضحة أن حالة من قلة الاكتراث بالدين متفشية وتظهر في أشكال متفاوتة ويتم التعبير عنها بمصطلحات متقاربة. والأكثر مدعاة للدهشة في هذه الإحصاءات أن من يعتبرون أنفسهم مؤمنين يذهب ٩% منهم فقط قداس الأحد، كما أن ٣١% ممن اعتبروا أنفسهم بروتستنت لا يؤمنون بالإله الذي تدعو الكنيسة للإيمان به بل يؤمنون بـ "قوة عليا"!!!

وفي مقال عنوانه "وداع الله" عن الوضع الديني في ألمانيا نشرته دير شبيجل (١٥ يونيو ١٩٩٢) وصفت ألمانيا بأنها تحولت إلى "بلد كافر"!

في المقابل تأتي في طليعة المجتمعات "المؤمنة" الدول التي يختلط فيها الدين بهويتها القومية، ففي التشكيل الحضاري الأرثوذكسي توجد النسبة الأعلى في رومانيا حيث يعتبر ٩٦% من السكان أنفسهم مؤمنين ثم اليونان وتبلغ النسبة فيها ٩٢%. أما في التشكيل الحضاري الكاثوليكي فتبلغ نسبة من يعتبرون أنفسهم مؤمنين ٩٠% في بولونيا و٨٦% في إيطاليا. أما في تركيا فإن ٩٥% من الأتراك يعتبرون أنفسهم مسلمين بينهم ٧٢% يمارسون الشعائر، وعلى خلفية مفاوضات انضمامها للاتحاد الأوروبي فإن مقارنة هذا الرقم بالمتوسط العام في أوروبا يشير إلى فارق ضخم فنسبة من يعتبرون أنفسهم مؤمنين في القارة يبلغ ٦٨% مقابل ٨٠% في أوروبا الشرقية أما من يمارسون

الطقوس فتبلغ نسبتهم ٢٤% مقابل ٣٧% في أوروبا الشرقية. وتبلغ نسبة المؤمنين في روسيا ٦٥% بينما من يمارسون الشعائر لا تتجاوز نسبتهم ٤%.

وفي منتصف المسافة بين النقيضين الأوروبي والتركي تأتي الولايات المتحدة حيث تبلغ نسبة من يعتبرون أنفسهم مؤمنين ٧٥% وتبلغ نسبة من يمارسون الشعائر ٤٣%، وحسب إحصاء سبق الاستطلاع المشار إليه فإن ٨٦ % من الأمريكيين يعتقدون في الآخرة والله.

وبطبيعة الحال تحتاج هذه الأرقام إلى إخضاعها لعملية تحليلية لقراءة دلالاتها المختلفة ولاستكشاف الكيفية والآليات التي يتطور بها الموقف من الدين في التشكيلات الحضارية المختلفة والثقافات المختلفة وكذلك درجة الاهتمام بالممارسة الدينية في مختلف المجتمعات، فمن المؤكد أن عوامل عديدة كالثقافة والانتماء المذهبي والبنية السياسية للدولة و.... تتدخل في تحديد مثل هذه المواقف.

-٤

على غرار "الكساد الكبير" الذي شهده الاقتصاد العالمي قبل الحرب العالمية الثانية تشهد الولايات المتحدة ما يمكن أن نسميه "التفاؤل الكبير"، فالأمريكيون يتكلمون بلغة ملؤها الثقة عن قدرة نموذجهم السياسي على حل مشكلات العالم وفي مقدمتها حالة الاحتقان السياسي المزمن التي يعانيها العالم العربي، بل إن بعض الأكاديميين يبلغ تفاؤله حد التبشير بأن يؤدي استيعاب الحركات الإسلامية سياسيا في العالم العربي إلى انهيار العلمانية "امبراطورية الشر الثانية".

ففي مقال له بعنوان: "الإسلام ونهاية العلمانية" (الموقع الإليكتروني لقناة الجزيرة الفضائية ١٩/ ٧/ ٢٠٠٤) يراهن الأكاديمي الأمريكي المعروف جون فول على دور رئيس للإسلام في القضاء على العلمانية على غرار الدور الذي قامت به الفاتيكان في

هزيمة النازية والشيوعية. ويرى جون فول أنه "عند الحديث عن العوامل الإثنية والدينية في علم الاجتماع البشري اليوم، فإن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: هل نحن سائرون إلى صراع أم إلى تصالح؟ ورغم أن مفكرين كثيرين يرون أن عنصر الدين يمثل مشكلة في عالم اليوم، فإنني أرى أن الدين يصلح أن يكون سبيلا للتصالح والوفاق".

"فعلى مدى ما يقرب من ثلاثة قرون، دأب علماء الاجتماع والمثقفون الغربيون البارزون على تأكيد أفول الدين وساد اعتقاد بأن التحديث هو المحرك الذي سيتسبب بصورة حتمية في إقصاء الدين عن الحياة، ويؤكد فول أنه لا بد من إعلان نهاية إيمان علم الاجتماع بنظرية العلمنة، والإقرار بأنها لم تكن إلا محصلة لأفكار وتوجهات محببة. فبعد نحو ثلاثة قرون من إخفاق نبوءاته، حريٌّ بمبدأ العلمنة أن يُلقى في مقبرة النظريات الفاشلة".

يطرح الأكاديمي المعروف مجموعة من التعميمات التي يؤسس عليها تصوره فيقول: "أظن أننا نشهد عالما يسقط الفكرة القائلة بأن التحديث يؤدي بالضرورة إلى إقصاء الدين. فقد أدبرت تلك الحقبة التي سادت فيها تلك الفكرة. وبالنظر إلى دور الولايات المتحدة في شؤون العالم، جدير بنا أن نتقبل فكرة نهاية العلمنة كأحد أبعاد عملية التحديث، وليس باعتبار ذلك أيديولوجية منافسة أو بديلة".

ويحدد فول ثلاثة عناصر تشكل إطار رؤيته هي:

أولا: إن خبرة مجتمعات عديدة في العالم خلال نصف القرن الماضي تظهر أن التحديث لا يعني انتهاء دور الدين كقوة فاعلة رئيسة في الحياة العامة. وهذا يعني بدوره أن علمنة المجتمع ليست جزءا أصيلا في عملية التحديث.

ثانيا: أن من الواضح أن سياسات "فصل الكنيسة عن الدولة" أو "فصل الدين عن

السياسة" لم تكن محايدة دينيا. أي إن الدعوة للعلمنة والعلمانية اتخذت في حد ذاتها موقفا أيديولوجيا ودينيا. فهذه الدعوة إذن ليست وصفا موضوعيا منفصلا عن القيمة لما يحدث في عملية التحديث.

ثالثا: مما تقدّم - وباستخدام مصطلحات السياسة - فإن العلمنة ليست شيئا يحدث كجزء طبيعي من العملية التاريخية للتحديث. بل يمكن أن ينظر إلى العلمانية كما أظن أنها كانت دائما واحدة من رؤى عديدة متنافسة حول ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع في الحقبة المعاصرة. أي إننا نشهد نهاية حقبة كانت تعتبر فيها العلمنة معطى لازما في تطور المجتمعات الحديثة. إننا نشهد نهاية العلمانية.

ويرى فول أن "لهذا المنظور الجديد أهمية خاصة لأجل فهم الإسلام المعاصر، ففي العالم الإسلامي كان ينظر دائما وبوضوح للدعوة إلى علمنة المجتمع باعتبارها أيديولوجية منافسة، أكثر من كونها جزءا ضروريا وأصيلاً في عملية التحديث. فعلى مدى قرنين، ركزت المؤثرات (والنتائج) الرئيسة لعملية الإصلاح في العالم الإسلامي على إنشاء أمم حديثة، ودول حديثة، ودول قومية حديثة. وفي وقت مبكر، أدت الفكرة السائدة حول أن التحديث يشمل قدرا من فصل الدين عن الحياة العامة إلى وسم دعاة الإصلاح والتحديث بالعلمانية".

"كانت أهم عناصر برامج الإصلاح والتحديث، في القرنين التاسع عشر والعشرين، إحداث انفكاك واضح من الماضي؛ الذي كان يعتبر ويعرّف باعتباره "تقليديا". وقد أكد ذلك ما صدر في خمسينيات وستينيات القرن الماضي من دراسات العلوم الاجتماعية الرئيسة المختصة بتعريف التحديث. لكن مع وصولنا لنهاية حقبة ساد فيها الاعتقاد بأن العلمنة جزء أصيل في عملية التحديث، فإننا نرى أن الكثيرين من الحداثيين في أكثر المجتمعات تحديثا يعتقدون – وهم في مستهل القرن الحادي والعشرين – أن السياسات ليست بالضرورة

بديلا عن الصلاة"!!!.

ومما يلفت النظر بل يثير الدهشة أن جون فول يرتب على تصوره نتائج سياسية تشكل انقلابا في الرؤية الأمريكية يدعو للإقدام عليه دون تردد، فـ "ما يجب الإقرار بـه الآن هو أن الفكرة القائلة بضرورة فصل الدين عن الحياة العامة لأجل تحقيق التحديث قـد دحضت من خلال حياة وخبرات وتجارب أناس كثيرين وبلاد عديدة، في شتى أنحاء العـالم، وبصورة خاصة في العالم الإسلامي. وعندما ننظر إلى العالم الإسـلامي في سـياق خيـارات السياسة الأميركية، من المهم ألا يغيب عنا هذا الإطار الفكري الأوسع حول نهايـة نظريـة العلمنة. وهو في حد ذاته مهم لأننا بحاجة إلى البحث عن الحلفاء المناسبين. ففي حقبة تدرك أهمية الحوار الحضاري، نحتاج أن نكون على وعي بالناس الذين نستطيع التحاور والعمـل معهم بفاعلية".

"وإذا كنا نسعى لبناء وتقوية الركائز الأخلاقية للحرية في الولايات المتحدة، فإننـا لا نبحث بالضرورة عن حلفائنا من بين أشباه الملاحدة أو الدهريين. وإذا كنا لا نفعل ذلك في الولايات المتحدة ذاتها، فلماذا نفعله عندما نتعامل مع العالم الإسلامي؟ ولماذا نرى في سلمان رشدي مثلا حليفا عظيما ومسلما معتدلا بدلا من البحث والتحـاور مـع مـن يؤمنـون ويحافظون بقوة على القيم الأخلاقية على أساس ديني، ويعتقـدون أن للـدين مكانـا في السياسات والحياة العامة".

ويكشف فول في مقاله عن عمل مؤسسي منظم لتسويق الفكرة فيشير إلى "مجموعـة من المثقفين، تضم بين أعضائها المؤرخ الأميركي أنتوني سوليفان وتسمى "الحلقة"، وهي تمثل مجهودا على نطاق صغير يهدف إلى تقديم وسيلة أو آلية للتواصل الفعال، بناء على وعـي مشترك وإيمان بمجتمع أخلاقي. وتضم المجموعة ضمن أعضـائها أيضـا مـثقفين غـربيين ومسلمين". وفي ما يشبه الدعوة لتحالف إيماني عالمي ضد العلمانيين يختم فول رؤيته

بقولـه: "في حقبة نهاية العلمنة كمعطى مسلم به، وفي زمن ينبغي فيـه القبـول بالعلمانيـة كإحدى الأيديولوجيات المتنافسة على صياغة وتعريف الرؤية التي نريد للمجتمع أن يكون عليها، يمكننا بل يجب علينا أن نختار حلفاء مؤثرين.... الصدام الهام في الحقيقة هو بين مـن يرون أن الدين لا دور لـه في المجتمع ومن يرون أن لـه دورا. في ذلك الصدام، سـيكون للذين يؤمنون – بأن الحرية لا بد لها من قاعدة أخلاقية قوية على أساس ديني للدفاع عنـها – حلفاء طبيعيون كثيرون في العالم الإسلامي"!!!!

-٥

لاشك في أن الرئيس الموريتاني السابق ولد محمد فال كان شجاعا إلى حد بعيد باعترافه بأن موريتانيا تعاني مشكلة "عبودية" وهو اتهام طالما نفته لعقود متوالية الحكومات المتعاقبة في موريتانيا. ومشكلة موريتانيا عينة ممثلة لمشكلات مماثلة تعانيها أقطار عديدة في العالم العربي بأشكال مختلفة وبدرجات حدة متفاوتة. فالصعود الكبير للأكراد في العراق بعد سقوط النظام البعثي جعل العالم العربي يبدو كما لو كان قد فوجئ بوجود أعراق متعددة في العراق: أكراد، تركمان، آشوريون....، ويمكنك أن تقول الشيء نفسه عن اتفاق ماشاكوس في السودان الذي قبل النظام السوداني بموجبه "اقتسام" السلطة والثروة مع الجنوبيين الأفارقة ليكون أول اعتراف عملي بأن السودان بلد ذو هوية مزدوجة عربية/ أفريقية، وبدرجة أقل حدة تتصاعد وتخبو مشكلات أخرى مماثلة كالبربر في الجزائر والمغرب والأكراد في سورية و....

والمشهد اللبناني الراهن مثال معبر تتجلى فيه كل سمات أزمة الهوية في العالم العربي فالصراع بين موالاة ومعارضة هو صراع بين هويتين بقدر ما هو صراع بين أجندتين سياسيتين والمفاهيم المتصلة بالهوية حاضرة بقوة في السجال بين الفريقين. غير أن المشهد الأكثر تعبيرا عن أزمة لبنان هو مشهد الصراع على المقررات الدراسية فكل

حرب إنما تبدأ "فكرة" وكل مواطن إنما يختار موقعه من الاصطفاف السياسي بناء على اعتبارات، وتختلف دواعي هذا الاصطفاف نوعيا من دولة لأخرى. ففي المجتمعات المستقرة التي لا تعاني صراعا على الهوية يكون الاصطفاف في المقام الأول بناء على "المصالح" أما المجتمعات التي تعاني "دوار الهوية" فيكون الاصطفاف السياسي فيها مرتكزا في المقام الأول على القناعات، وهو ما يحدث في لبنان الآن في خلفية المشهد السياسي.

فبينما تعصف بلبنان رياح صراع هو الأكثر حدة منذ الحرب الأهلية يدور صراع ثقافي أقل صخبا لكنه أبعد أثرا موضوعه المناهج الدراسية اللبنانية وصورة كل حقبة من حقب التاريخ اللبناني فيها (الشرق الأوسط اللندنية ١١ - ١ - ٢٠٠٧)، وأطراف الصراع خرجوا من كتب التاريخ ليكونوا موضوع اصطفاف هو الأهم في الصراع على مستقبل لبنان، وهم: الفينيقيون والعثمانيون والفرنسيون!

والعودة إلى هذه النقطة عودة غير مسلحة لأجواء الحرب اللبنانية التي توقف خلالها تاريخ لبنان ولم يستأنف مسيره حتى الآن. وتشكل مناهج التاريخ الساحة الأكثر خطورة بالنسبة لأمة تعاني "دوار الهوية"، فدروس التاريخ عبر العالم تخدم غرضين: تعليم الشباب وتشكيل الهوية الوطنية، لكن العجز عن بلورة هوية جامعة يجعل التاريخ أول عوامل التفرقة ومن ثم اشتعال الصراع الأهلي، ومع انتشار التوتر الطائفي مرة أخرى يخشى بعض العاملين في مجال التعليم أن الفشل في إعداد رؤية مشتركة لأحداث التاريخ تدفع الشباب إلى تكرار الماضي، حيث يتعلم معظمهم التاريخ المعاصر من أسرهم أو من زعمائهم السياسيين الذين ربما لديهم أجندة خاصة بهم.

والانقسام ليس هاجسا يمكن دفعه بل واقع ففي واحد من الكتب المدرسية يتعلم الطلاب أن العثمانيين محتلون، وفي كتاب آخر يقدمون للطلاب كإداريين. وفي بعض

الكتب الأخرى يتعلمون أن الفرنسيين محتلون، وفي آخر يعتبرونهم مثالا يجب اتباعه. وفي بعض المدارس المسيحية يبدأ التاريخ مع الفينيقيين القدامى، الذين يعتقد الكثير من المسيحيين أنهم أسلافهم الأصليون، وفجر المسيحية. وفي عديد من المدارس الإسلامية يقلل من شأن الفينيقيين مقابل التركيز على التاريخ العربي ووصول الإسلام.

أول ما تعكسه هذه الأزمة أن التاريخ ليس سجلا لما حدث بالفعل في مكان ما بل بوصفه سيرة مقدسة لـ "السلف الصالح" وبالتالي فإن كل فئة من فئات الشعب في هذا المكان تريده تسجيلا لتاريخ الجماعة التي ينتمي إليها وغالبا يكون هذا التاريخ سجلا للمآثر. وعندما يكون التاريخ سجلا لمآثر "السلف" الصالح فإن امتلاك جماعة بعينها له يعني امتلاكها المستقبل حيث هو استنساخ لتاريخ هذا السلف الصالح، فالحرب هي على المستقبل، ومن خاض حربا ثقافية ليستبعد جماعة - أو جماعات - أخرى من التاريخ استبعادا تاما أو جزئيا لا شك في أنه مستعد لأن يستبعدهم سياسيا من المستقبل!

المشكلة إذن تتجاوز مجرد إثبات حقائق تاريخية أو محوها لتكون إصرارا عاطفيا متشددا على جعل المستقبل مجرد إعادة إنتاج للماضي وتشبثا مرضيا بالحق في احتكار الأولية، سواء كانت أولية الفينيقيين أو العرب المسلمين، وهنا يتحول التاريخ من سجل لما حدث إلى رؤية أيديولوجية لما نتمنى أن يكون، والتاريخ هو الميدان الأفضل لفرض التصورات: القومية أو الدينية أو المذهبية أو الأيديولوجية أو حتى الشخصية على الوجود إذ يصبح هذا الوجود مجرد مادة خام طيعة قابلة للتشكيل وفق تصور مسبق.

المشكلة إذن في عمقها الحقيقي ثقافية وتربوية، وكما يقول المثل الإنجليزي "أعطني ابنك أربيه سبع سنوات ثم خذه وافعل به ما تشاء"، فالمفاهيم الأولية هي التي تحكم رؤية الإنسان وبناء عليها يصدر أحكاما ويصنف البشر والأفكار ويبني ولاءاته وعداواته، وفي بلد تلعب الطائفية فيه دورا كبيرا وتملك كل طائفة القدرة على التأثير في أعضائها

بقوة من الخطير جدا أن يفشل أطراف الاجتماع السياسي في الوصول لرؤية جامعة لأن الدولة ليست مركزية تستطيع أن تحتكر لنفسها الدور الوحيد في بناء الهوية، ما يعني بناء ثقافات مزدوجة ونمو مشاعر سلبية تحت الجلد لن تلبث أن تنفجر.

-٦

لقد كان القرن العشرون قرن صراع الأيدلوجيات بامتياز وشكّل الصراع بين الرأسمالية والفاشية السمة الرئيسة للنصف الأول منه، فكانت الحربان العالميتان الأولى والثانية جولتان حاسمتان اختفت بعدهما الأنظمة الفاشية في الغرب واليابان. ورغم أن صراع الهوية كان جزءا من بنية الصراع بين الرأسمالية والفاشية فإنه لم يكن السمة المميزة للصراع، ولعبت الانتماءات القومية والمذهبية والدينية أدوارا شديدة الأهمية في هذا الصراع. وبينما كانت الأنظمة الفاشية في ألمانيا وإيطاليا واليابان وغيرها كانت أنظمة قومية حلولية شديدة العداء للدور الذي تقوم به المؤسسات الدينية في المجتمع فإنها، وبصفة خاصة النظام النازي، استخدمتها كورقة لاكتساب المشروعية فأنشأت كنيسة "نازية" إذا جاز التعبير.

وبطبيعة الحال لم تكن المصالح غائبة عن هذا الصراع ولكنها لم تكن أبدا محركه الرئيس. وخلال النصف الثاني من القرن العشرين كان الصراع بين الرأسمالية والشيوعية السمة المميزة فانقسم العالم إلى معسكرين كل منهما يحاول التبشير بأيدلوجيته. وفي هذا المناخ الحافل بصخب الصراع الأيديولوجي ولد الكيان الصهيوني متحالفا مع الأيدلوجية الرأسمالية بصفة أساسية. ومع مطلع القرن الحادي والعشرين يكاد الصراع الأيديولوجي يختفي ليحل محله صراع الهويات.

وقد راهن محللون كثيرون على أن زوال الصراع الأيديولوجي بهزيمة أحد طرفيه سيؤدي بالضرورة لأن تكتسح الرأسمالية " الأيديولوجيا المنتصرة " العالم لتصبح خيارا

عالميا يظهر بانتصاره "المواطن العالمي" وفق الشروط الرأسمالية. ولأن التاريخ لا يسير وفق قانون خطي بسيط تغير ميدان الصراع تماما وفقدت الأيديولوجيا بريقها أو كادت، وضمن ذلك الأيديولوجيا المنتصرة نفسها، ونزعت مجموعات سكانية كثيرة في العالم المتقدم والمتخلف على السواء نزوعا متفاوتا بلغ أحيانا حد التطرف نحو تأكيد هويتها.

كان مفهوما أن يؤدي زوال الاتحاد السوفيتي لظهور قوس قزح من الهويات التي حجبتها الإمبراطورية الغاربة وكان طبيعيا أيضا أن يصبح مواطنو هذه الجمهوريات أمام أسئلة لا تحسمها الأمم عادة في لحظة كاختيار اللغة، فاختار بعضها الحرف التركي واختار بعض آخر الحرف اللاتيني وهكذا. وبرز حضور الهوية بشكل شديد الوضوح في الموقف الروسي من الصراع في البلقان، حيث بدا إلى حد كبير الدور الفاعل للمذهب والعرق في صياغة الموقف الروسي الرسمي من هذا الصراع.

وفي إطار عملية تحلل للكيانات السياسية التي قامت على اجتماع مجموعات سكانية مختلفة تشكل الدولة بالنسبة لها إطارا لهوية سياسية تحجب هويتها الثقافية بمعناها الشامل ظهر صراع الهويات واحتل واجهة المشهد السياسي، واكتشفنا فجأة أن تشيكوسلوفاكيا دولتان وأن يوغوسلافيا عدة دول وأن ما يجمع دول البلطيق (أستونيا ولاتفيا وليتوانيا) أضعف بكثير مما يفرقها. ومن الشمال للجنوب امتدت الظاهرة فانفصلت إرتريا عن إثيوبيا ثم انفصلت تيمور عن إندونيسيا.

وتلجأ النخب السياسية غالبا عند إدارتها صراعات الهوية لتأكيد الاختلاف والإلحاح عليه إن لم يكن موجودا لبلورة هوية وطنية أو قومية مختلفة تكون مرتكزا للانفصال عن المحيط الذي توجد فيه. وقد لفت نظر المحللين عند انفصال تيمور أنها على المستوى الاقتصادي لا تملك مؤهلات الدولة ورغم ذلك فإن ما شغل النخبة السياسية

التي تحمل لقب "أفقر دولة في العالم" لم تتجه لامتلاك مؤهلات الاستقلال الاقتصادي بل أولت اهتمامها الأكبر لبناء الهوية.

وكما لعب الدين دورا في بناء حواجز بين سكان تيمور وبين إندونيسيا بدأت نخبة "التحرر الوطني التيمورية" تغذي مفهوم الاختلاف بقوة، ففي مايو ٢٠٠٢ اختارت تيمور الشرقية - ضمن مساعيها لخلق هوية خاصة بها تميزها عن إندونيسيا - اللغة البرتغالية لكي تكون لغة التعلم في المدارس والجامعات، ولكي تعطي للأمر مسحة من القداسة سمتها "لغة الثورة". ويشكو مواطنو تيمور من أنه سيكون من الصعب عليهم تعلم البرتغالية لأنهم يتحدثون الإندونيسية، ولكنها أصبحت إجبارية الآن. ودستور الدولة يعتبر البرتغالية ولهجة تيتوم المحلية الرئيسة اللغتين القوميتين برغم أن لهجة تيتوم تعتبر بدائية.

وتعكس مثل هذه القرارات اندفاعا عاطفيا غالبا تكون له آثار مدمرة، فالمفاضلة بين البدائل المتاحة لم تأخذ شكلا موضوعيا بل استندت لمبررات عاطفية متشنجة، فللبرتغالية عند "قادة الثورة التيموية" الوليدة (وهو تعبير فيه تجاوز شديد) مغزى آخر على فقد كان المتمردون التيموريون يتحدثون البرتغالية لتجنب الجواسيس!! أما قائدهم - الذي سيكون أول رئيس لأفقر دولة في العالم بعد نجاح تمرده زانانا غوسماو وهو شاعر أيضا - فهو مولع بالبرتغالية!! وبعيدا عن الاعتبارات العملية التي لم يؤذ أي منها في الاعتبار فإن هجر اللغة الإندونيسية بوصفها "لغة المستعمر" لا يبرر فرض البرتغالية بقرار فوقي لأنها هي الأخرى لغة مستعمر أقدم!!

واستخدام لغة لا يجيدها سوى ٥ % فقط من السكان سيكون مكلفا كما سيكون مضيعة كبيرة للوقت. وحسب دراسة أعدتها الأمم المتحدة فإن نحو ألفي موظف سيكونون بحاجة إلى تعلم البرتغالية لإدارة شؤون الدولة. وعلى المستوى العملي الأهالي

يجدونها صعبة والمدارس لا تجد من يعلمها وعبر طالب بكلية العلوم عن نتائج هذا القرار بعبارة موحية يقول: "بدلاً من أن تكريس وقتي لدراسة الفيزياء والكيمياء أتعلم العد وتسمية أجزاء جسم الإنسان باللغة البرتغالية! ".

وتلخص إحدى الراهبات المأزق قائلة: "أنا كنت سأختار التيتوم كلغة رسمية، لأن هذه هي اللغة التي يجيدها معظم الناس لكني أعلم أن الناس يقولون إنها بدائية ولن يمكن تحديثها بسهولة"، وتيتوم واحدة من نحو ٣٠ لغة أو لهجة يتحدث بها سكان تيمور الشرقية، ومن المعتقد أن ٨٢ % يتحدثون بها بينما يجيد ٤٣ % اللغة الإندونيسية. ودافع وزير خارجية تيمور عن اللغة البرتغالية قائلا إنها اختيار أغلب المواطنين.

إنها وجوه مختلفة من أزمنة وأمكنة مختلفة للصراع والتدافع بين "الأنا" و"الآخر".

* * * * *

obeikandl.com

ملاحق

obeikandl.com

ملحق ١:

وثيقة المدينة

١. هذا كتاب من محمد النبي [رسول الله]، بين المؤمنين والمسلمين من قريش و[أهل] يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم،

٢. أنهم أمّة واحدة مِن دون الناس.

٣. المهاجرون من قريش على رَبعتهم يتعاقلون بينهم وهم يَفْدُون عانِيَهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٤. وبنو عَوف على رَبعتهم يتعاقلون معاقلَهم الأولى، وكل طائفة تَفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٥. وبنو الحارث [بن الخزرَج[على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٦. وبنو ساعِدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تَفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٧. وبنو جُشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٨. وبنو النَجّار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٩. وبنو عَمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

١٠. وبنو النَّبِيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

١١. وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

١٢. وأنّ المؤمنين لا يتركون مُفرَحا (أي مثقلا بالدَّين وكثرة العيال(بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

١٢/ب. وأنّ لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه.

13. وأن المؤمنين المتقين [أيديهم] على [كل] مَن بغى منهم، أو ابتغى دَسيعةَ (كبيرة(ظلمٍ، أو إثمًا، أو عدوانًا، أو فسادًا بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعًا، ولو كان ولدَ أحدهم.

١٤. ولا يَقْتُل مؤمنٌ مؤمنًا في كافر ولا ينصر كافرًا على مؤمن.

15. وأنّ ذمّة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وأنّ المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

١٦. وأنّه مَن تبعنا من يهود فإنّ له النصرَ والأسوةَ غير مظلومين ولا مُتناصرين عليهم.

١٧. وأنّ سِلم المؤمنين واحدةٌ، لا يُسالِم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم.

١٨. وأنّ كل غازية غَزَت معنا يعقب بعضها بعضًا.

١٩. وأن المؤمنين يُبِيء بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.

٢٠. وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدًى وأقومه،

٢٠/ب. وأنّه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفسًا، ولا يحول دونه على مؤمن.

٢١. وأنّه مَن اعتَبط مؤمنًا قتلا عن بيّنة فإنه قَوَدٌ به إلا أن يرضى ولي المقتول [بالعقل]، وأن المؤمنين عليه كافّةٌ ولا يحلُّ لهم إلا قيام عليه.

٢٢. وأنّه لا يحل لمؤمن أقرَّ بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن يَنصر مُحدِثًا (مجرما) ولا يُؤوِيه، وأن من نصره أو آواه فإنّ عليه لعنةَ الله وغضبَه يوم القيامة، ولا يُؤخذ منه صرف ولا عدل.

٢٣. وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإنّ مردَّه إلى الله]عز و جل[وإلى محمد [صلى الله عليه وسلم

[. 24. وأنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا مُحاربين.

٢٥. وأنّ يهود بني عوف أُمّة مع المؤمنين، لليهود دِينهم وللمسلمين دِينهم، مَواليهم وأنفسهم إلا من ظلَم وأثم، فإنه لا يُوتِغ (أي لا يهلك) إلا نفسه وأهل بيتِه.

٢٦. وأنّ ليهود بني النّجّار مثل ما ليهود بني عوف.

27. وأنّ ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.

٢٨. وأنّ ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.

٢٩. وأنّ ليهود بني جُشَم مثل ما ليهود بني عوف.

٣٠. وأنّ ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.

٣١. وأنّ ليهود بني ثَعلَبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا مَن ظلم وأثم فإنّه لا يُوتِغ إلا نفسَه وأهلَ بيته.

٣٢. وأنّ جَفْنَةَ بطنٌ مِن ثعلبة كأنفسهم.

٣٣. وأنّ لبني الشُّطَيبَة مثل ما ليهود بني عوف، وأنّ البرّ دون الإثم.

٣٤. وأنّ موالي ثعلبة كأنفسهم.

٣٥. وأن بطانة يهود كأنفسهم.

٣٦. وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد [صلى الله عليه وسلم

]. /36ب. وأنّه لا يَنحَجِز على ثأرِ جُرحٍ، وأنه مَن فَتَك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظَلم، وأنّ الله على أبَرّ هذا.

٣٧. وأنّ على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأنّ بينهم النصر على مَن حاربَ أهل هذه الصحيفة، وأنّ بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم.

٣٧/ب. وأنه لم يأثم امرؤٌ بحليفه، وأنّ النصر للمظلوم.

38. وأنّ اليهود يُنفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

٣٩. وأنّ يَثرب حرامٌ جوفُها لأهل هذه الصحيفة.

٤٠. وأنّ الجار كالنفس غير مضارٌ ولا آثِم.

٤١. وأنّه لا تُجار حرمةٌ إلا بإذن أهلها.

٤٢. وأنّه ما كان بين أهل هذه الصحيفة مِن حَدث أو اشتجار يُخاف فسادُه، فإنّ مَرَدّه إلى الله]عز و جل[وإلى محمد رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبَرّه.

٤٣. وأنّه لا تُجار قريش ولا مَن نَصَرها.

٤٤. وأنّ بينهم النصر على مَن دهم يثرب.

٤٥. وإذا دُعوا إلى صلح يُصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وأنهم إذا

دَعوا إلى مثل ذلك، فإنه لهم على المؤمنين إلا مَن حاربَ في الدِّين.

٤٥/ب. على كل أناس حِصَّتهم مِن جانبهم الذي قِبَلهم.

٤٦. وأنّ يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البِرّ المحض مِن أهل هذه الصحيفة، وأنّ البِرّ دون الإثم لا يَكسِب كاسب إلا على نفسه، وأنّ الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبَرّه.

٤٧. وأنه لا يحول هذا الكتابُ دون ظالمٍ أو آثم، وأنه مَن خرجَ آمِنٌ ومن قعد آمِنٌ بالمدينة، إلا مَن ظلم وأثم، وأنّ الله جارٌ لمن بَرَّ واتّقى ومحمد رسول الله [صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

openkandil.com

ملحق ٢:

لنتذكر فاندي

بقلم صوفي ماسون

في بداية عام ١٧٩٤ قرر Convention Robespierre's إبادة الفنديين (الفانديين) حتى آخر رجل وامرأة وطفل. وإذا كانت الثورة الفرنسية أول أيديولوجية حديثة فإن فنديه (فاندي) تكون مذابح بدائية رهيبة تعد من أعمال الإبادة الجماعية.

حقيقة أن فاندي (فنديه) ثارت كانت معروفة للكافة. وهو ما يدعو للتساؤل بشأن طبيعة ثورتها التي شارك فيها طبقتها الوسطى وزعماؤها. والجمهورية الفرنسية لم تبدأ إلا حديثا جدا في الاعتراف بالرعب الذي يعنيه أن تكون فاندي (فنديه) أول جريمة إبادة جماعية في العصر الحديث.

المحيط الأطلنطي هادئ بامتداد شاطئه الطويل وهو يلتوي ويلتف عير أن موجه لا يهدر بقوة كما يفعل في الجزء الشمالي بامتداد صخوره الرمادية الوعرة، وبامتداد الشاطئ غابات صنوبر وعرة وفي العمق غابات أخشاب وأنهار بطيئة وحقول صغيرة.... السماء هنا ضخمة تعانق الأفق.... وعلى امتداد الشاطئ نجد آثار أقدام تعود لماض سحيق، آلاف من الحيوانات المتحجرة مطمورة في الصخور الناعمة. القرى والمدن صغيرة منطوية على كنائسها الرمادية وصخورها الصامتة. وفي كل مكان كل مكان ذكريات الرعب والموت حاضرة في صفوف لانهائية.

أريد أن أحكي قصتي.

ذات يوم كان هناك أرض غنية جميلة بعيدة، أرض أسرار وأغاني، أرض غابة ومحيط ونهر، وأهلها كانوا يعيشون كما اعتادوا في أرضهم ومعها، وفي ثقافتهم العميقة التي لا يسمونها ولكنهم يعرفون أنه جزء منهم. وعندما جاءت الطرق الجديدة في البداية لم يفعلوا شيئا، ولكن سرعان ما فهموا ما تعنيه هجمة الطرق الجديدة والناس الجدد والأفكار الجديدة.

انتهاك أراضيهم وعقائدهم بل أرواحهم وما كان يمكن أن يقفوا وهم يرون ذلك، سيقاومون للأبد إن لزم الأمر. (القادمون) المتطفلون بدورهم كانوا يعتقدون أنهم أحضروا معهم التقدم، التنوير، الفكاك من أسر الخرافات، الحرية، الإخاء، والمساواة. وسوف (يسحبون) يدخلون هؤلاء البدائيين العصور الحديثة، حتى لو كلفهم هذا بضع معارك. هؤلاء البدائيون أنصاف البشر سيصبحون عما قليل في تسابق مميت.

لكن هذا لم يكن سهلا فالناس قاوموا بشراسة وانتصروا أحيانا وشعر المتطفلون بالرعب الشديد فعلا أحيانا، ولكن سرعان ما كان هناك نقص في الرجال مقابل تقنيات متفوقة، وأيضا - وهذا يجب قوله - استقلالية البعض جعلتهم يجدون العمل ضمن جماعة متحدة أمرا صعبا وكان هذا مؤثرا في شجاعتهم وعقيدتهم. ولم تكن هناك ثقافة عسكرية إذ كانوا يعيشون لزمن طويل في حالة سلم. وعندما اكتشف (المتطفلون) ذلك عندما هزموا الناس أوحى لهم هذا بأكثر الأفكار وحشية، فهذا التسابق للموت يمكن استغلاله، وهكذا بدأت الإبادة الجماعية.

البشاعة المضاعفة، الإبادة المنظمة بدأت من أعلى القيادات وجرى تنفيذها بسعادة في أدنى المستويات، على الأقل ٣٠٠ ألف إنسان أبيدوا بلا رحمة آنذاك وبعض الجنود الذين رفضوا القيام بالمهمة اغتيلوا ماديا أو معنويا. لكن الناس ظلوا يقاومون فبعضهم

اختبأوا في الغابات ونصبوا الأكمنة وقد حابوا ببسالة مثالية لكنهم عند القبض عليهم كانوا يذبحون كالخنازير. وكان الإعدام مصير كل القادة إما شنقا أو ذبحا أو رميا بالرصاص بل لم يترك بعضهم لينام في قبره في سلام. جثة آخر قائد تم إعدامه قطعت ووزعت على العلماء أنا رأسه فتم "تمليحها" في إناء زجاجي. أما مخه فتمت دراسته لمعرفة أين توحد بذور العصيان عند البدائيين.

كان هذا منذ مائتي عام لكن في الحاضر احتفل المتطفلون بالذكرى المائتين دون إشارة لـ "الموت" ودون إشارة للإبادة الجماعية، إنهم الضحايا أنفسهم هم الذين تذكروا.

* * * * *

والآن هناك اسم لهذه الثقافة التي قاومت وهذا الاسم هو فاندي (فنديه)... إنها قصة التاريخ الفظيع لأهل غرب فرنسا فاندي (فنديه) وبريتاني، فأثناء الثورة الفرنسية حدثت قصة فيها البطولي والبشع تخلفت من رماد فاندي (فنديه). وهي قصة كانت حتى وقت قريب موضوع قمع وإنكار وبتوالي الأكاذيب أصبح كثير من الفرنسيين لا يعرفون عنها شيئا، وحدهم أهل فاندي (فنديه) وبريتاني احتفظوا بها حية، ولم ينسوها أبدا. ومؤخرا وحسب خلال السنوات القليلة الماضية أقيمت نصب تذكارية للضحايا أقامتها الحكومة المحلية وليس الحكومة المركزية. وحديثا جدا بدأت الجمهورية الفرنسية تتحدث عن احتمال أن يكون هذا الترويع أول جريمة إبادة جماعية في التاريخ.

* * * * *

في ١٧٨٩ بدأت الثورة الفرنسية الثورة التي كانت في البداية مفعمة بالتفاؤل وأمنيات الإصلاح الحقيقية، ولم يعارضها حتى الملك لويس السادس عشر. وكانت شعاراتها: التنوير، الإنسانية، الحرية، الإخاء، والمساواة مما لا يمكن أن يعارضه أحد، وكان المعارضون قليلين وكان فلاحو غرب فرنسا الأقل بينهم بل رحبوا بالكثير من

التغييرات وبينها إعلان حقوق الإنسان.

في ١٧٩٠ ظهر أو تصدع إذ ألغيت اجتماعات السلطات الإقليميّة تعرى الناس من حكوماتهم المحليّة. وجرّد رجال الدّين من سلطاتهم وعظمهم كان الناس يختارونهم وليسوا معيّنين بواسطة الكنيسة. كان معنى هذا عمليّا أن برجوازيّ المدن حلوا محل الكهنة المقدسين الذي اختارهم الفلاحون. بدأت فاندي (فنديه) وبريتاني ونورماندي التحرّك ضد هذا؛ كانوا مرتبطين بكهنتهم الخاصّين جدا و قاوموا فرض آخرين. بعد سنة ثارت قلاقل في بريتاني وفي ١٧٩٢، اكتسب اليعاقبة المتطرّفون بزعامة روبسبير قوة..... وبدأ الرعب.

غير أن حدثين شهدهما العام ١٧٩٣ قذفا فرنسا في آتون حرب أهلية وما زالت عواقبهما ماثلة في فرنسا حتى اليوم، وهما: إعدام لويس السادس عشر. ولاحقا إعلان فرنسا الحرب على بقية أوروبا، ونتيجة لذلك أراد "الثوار" إلزام الفلاحين بالتجنيد الإجباري لـ ٣٠٠ ألف منهم، لقد أراد الثوار أن يدفع الفلاحون ثمن إجرامهم الأحمق!

واندلع التمرد فورا في فاندي (فنديه) وبريتاني ونورماندي لكن مركز التمرد كان فاندي نفسها. كان هذا تمردا شعبيا تاما، كان الفلاحون أنفسهم من أخذ زمام المبادرة وهم قام - لاحقا - بإقناع بعض النبلاء المحليين ممن كانوا ضباطا بالجيش بقيادة بعض وحداتهم.

الجديد أن رد الفعل الجمهورية الأولى كان فوريا، سيكون قتالا حتى الموت.

* * * * *

... ولم تبخل الجمهورية بمالها ولا جنودها في سبيل سحق المتمردين.... وفي بداية ١٧٩٤ قرر المؤتمر (مؤتمر اليعاقبة) إبادة فاندي (فنديه) حتى آخر رجل، امرأة، وطفل. وقد وجدوا من يسعده تنفيذ ذلك.

"لا يبقى رجل حيا"، "وحدها الذئاب ما يجب أن يبقى في أرضهم"، "نار، دم، موت، هو ما نحتاجه لحماية الحرية"، "ممتلكاتهم ومعتقداتهم المتعصبة يجب تحطيمهما"، تلك كانت بعض الكلمات التي وردت في مؤتمرهم عن فاندي.

وأطلق علماؤهم المدجنون (المتواطئون) الخيال لكل الأفكار الجديدة، تسميم الدقيق والخمر وموارد المياه،..... البحث عن طرق لحرق أكبر عدد من الناس في فرن كبير يكون قادرة على إذابة شحومهم بكفاءة. واحد من الجنرالات الجمهوريين (Carrier)كان مستهزئا بهذه الأبحاث، فهذه الطرق "الحديثة" سوف تستغرق وقتا طويلا. الأفضل أن نستخدم طريقة أكثر عراقة (فيها قداسة القدم) للإبادة: قداس تعميد لرجال ونساء وأطفال عراة والأفضل تكبيلهم جماعيا فيما أسميه "زواج جمهوري" وفي قوارب نشيدها لذلك ويتم جرها إلى منتصف نهر اللوار، وعندئذ يبدأ قداس طعن بالحراب للرجال والنساء والأطفال، تحطيم رؤوس الصغار بضربها بالجدران، مذبحة بإطلاق قذائف المدفعية على المكبلين، أقصى أشكال التعذيب المروع، وإحراق ونهب القرى والمدن والكنائس.

ولم يكن هناك حتّى أيّ ادعاء أو تظاهر بالتميّز بين المقاتلين والمدنيّين وحتى الآن سجلات الجيش في فينسينيس تحكي القصة الباردة، القبيحة، وقد تكررت مراراً وتكراراً في قرننا الفظيع، الجنرالات يتحدثون ببرود عن "الأهداف المنجزة"، "الإبادة بلطف"، إبادة جماعية بشكل منظم ومستمر وبصرامة.

* * * * *

ملحق ٣:

العلمانية والحجاب التركي

دكتور حازم الببلاوي

لم يكن في نيتي الاستمرار في الكتابة عن العلمانية بعد ثلاث مقالات في الموضوع. وكنت قد أكدت في مقالي الأخير أن العلمانية لا ترفض فقط مفهوم السلطة الدينية وإنما تدعو أيضاً وبنفس القوة إلى احترام الحريات الدينية للجميع ودون تمييز. وفي هذه الأثناء عرفت تركيا أزمة سياسية كبرى فيما يتعلق بالحجاب. فتركيا - وهي دولة يغلب على معظم سكانها الإسلام وتعلن في نفس الوقت تمسكها بالعلمانية - تواجه حالياً أزمة دستورية بسبب هذه القضية. فرئيس الوزراء وهو من حزب إسلامي (العدالة والتنمية) يرشح وزير خارجيته لمنصب رئيس الجمهورية. ويعترض رئيس الجمهورية الحالي بمقولة أن هذا الترشيح يتعارض مع مبادئ العلمانية لأن زوجة وزير الخارجية محجبة، ثم تؤيد المحكمة الدستورية - بالأغلبية - الاعتراض على هذا الترشيح. ومن هنا يثور التساؤل - وهو أمر طبيعي - ألا يعني ذلك أن هناك تعارضاً بين العلمانية وبين حرية ممارسة الشعائر الدينية؟ وبالفعل أرسل لي أحد القراء - السيد أحمد أبو السعود - تعليقاً على مقالي الأخير عن العلمانية متسائلاً: "إذا كانت العلمانية تؤيد حرية الاعتقاد، فلماذا دولة مثل تركيا ترفض الحجاب وهو شعيرة دينية يؤدها الاعتقاد، ولا ترفض العري؟ " هذا هو السؤال، وهو سؤال مشروع تماماً.

فهل ما زلت عند رأيي بأن العلمانية لا تعادي الأديان بل هي دعوة إلى الحريات الدينية؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هو تفسير السلوك التركي، أليست تركيا دولة علمانية، وهي مع ذلك لا تحترم حرية ممارسة الشعائر الدينية لدى العديد من المسلمين؟

وأبدأ بالقول بأن العلمانية ليست نظرية علمية - كما في الكيمياء أو الفيزياء -

بحيث تنطبق في جميع الأماكن والأزمنة بنفس الدقة، وإنما هي مفهوم اجتماعي تاريخي لـه خصائص عامة، ولكنه يختلف في التطبيق في الكثير من التفصيلات من مكان إلى آخر ومن زمان إلى زمان. فالعلمانية مثل الديمقراطية أو الاشتراكية لكل منهما معالمها الرئيسية ولكنها تختلف في التطبيق من دولـة إلى أخرى. فالديمقراطية في الولايات المتحدة ليست مثل الديمقراطية في فرنسا أو في الهند، ومع ذلك فكلها دول ديمقراطية، وبالمثل فإن التطبيق الاشتراكي في روسيا لم يكن متطابقاً مع التطبيق الاشتراكي في الصين أو يوغسلافيا أو كوبا، بل أن الإسلام يختلف في تطبيقاته بحسب طبيعة الشعوب، فالإسلام في مصر ليس كالإسلام في نيجيريا أو في اندونيسيا أو في البوسنة رغم أن كلاً منها دولـة إسلامية. وكذلك الحال مع العلمانية هناك اختلافات في التطبيقات نتيجة للظروف التاريخية لكل دولـة.

سبق أن ذكرت أن للعلمانية جانبين أحدهما سلبي وهو رفض مفهوم السلطة الدينية، والآخر إيجابي وهو حماية الحريات الدينية، وأن هاذين الجانبين يتكاملان ويعضد أحدهما الآخر. ولكن الحقيقة أن هناك أحوالاً يمكن أن يثور شبه تعارض بين الأمرين. فكثيراً ما يكون هاجس الخوف من تسلط السلطة الدينية هو الهاجس الأكبر أمام المسؤولين بحيث يرفضون كل شيء يمكن أن يكون تهديداً بعودة هذه السلطة. وكثيراً ما يصبح هذا الهاجس أقرب إلى الهوس إلى درجة تؤدي إلى التجاوز عن الحريات الدينية وممارسة بعض شعائرها. وهذا ما حدث في فرنسا بالنسبة للحجاب وهو ما يحدث حالياً في تركيا. ولكن هناك دولاً أخرى - مثل الدول الإنجلوسكسونية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية - والتي ترى في العلمانية أولاً وأخيراً مظهراً لحماية حرية الاعتقاد ولذلك لا تبالي كثيراً بما يطلق عليه الرموز الدينية. ولكل من المجموعتين من الدول من الأسباب التاريخية ما يفسر - وإن لم يكن يبرر - مثل هذه الاختلافات في السلوك.

فالثورة الفرنسية وهي أساس الدعوة إلى العلمانية في فرنسا لم تكتفي بمجرد رفض مفهوم السلطة الدينية للكنيسة بل أنها استندت إلى جذور فلسفية تأخذ موقفاً معارضاً للأديان بصفة عامة. فهذه الثورة تجد جذورها الفكرية في الفكر السائد في القرن الثامن عشر والذي يقدس العقل والعلم ويتشكك في مواقف الكنيسة ورجال الدين. وفولتير أكبر الفلاسفة الذين مهدوا للثورة - ورغم تصالحه مع الكنيسة قبل وفاته - كان دائم الهجوم على الكنيسة وعلى الكاثوليكية. وهكذا بدأت الثورة بموقف فكري عدائي للأديان. وعندما سيطر روبسبير - أشهر رجال الثورة - على مقاليد الحكم ألغى الكنيسة وأعلن عن ديانة جديدة تؤمن بالله الذي أطلق عليه اسم "الكائن الأعلى" Supreme Etre، وهي ديانة تؤمن بالألوهية دون الأديان.

وهكذا فإن للثورة الفرنسية جذوراً معادية للدين ولرجال الدين Anticlerical. وعندما أصدرت الجمهورية الثالثة قانون الفصل بين الدولة والكنيسة في عام ١٩٠٥، غلب عليه معاداة كل مظاهر ورموز السلطة الدينية وظهورها في الأماكن العامة. ولذلك فإن التراث الفرنسي للعلمانية يركز بشكل أكبر - عند الموازنة والترجيح بين اعتبارات العلمانية - على محاربة كل مظهر للسلطة الدينية أو رموزها أكثر من التركيز على حماية الحريات والعقائد. ومع ذلك فإن هذا الترجيح على محاربة كل الرموز الدينية لم يكن دائماً سهلاً أو دون مقاومة. وعندما واجهت فرنسا أخيراً مشكلة الحجاب الإسلامي جرت على الساحة مجموعة من الملابسات التي ساعدت على غلبة جانب الخوف من بروز الرموز الدينية في الحياة العامة. فعندما ظهرت هذه المشكلة في المدارس الفرنسية وقعت معظم الأوساط في حيرة شديدة وترددت بين ترجيح أحد الاعتبارين على حساب الآخر، وانقسم الرأي العام حول الموضوع. فرفضت بعض المدارس الحجاب وأصرت على منع الطالبات من حضور الدروس مع هذا الحجاب، في حين أن البعض الآخر لم يعترض عليه بل وسمح به. وعندما تدخلت وزارة التعليم كان تدخلها غير حاسم،

وبعرض الأمر على مجلس الدولة أيد حرية ممارسة العقائد.

وفي هذا الوقت كان العالم يعيش ما بعد أحداث ١١ سبتمبر حيث ازداد العداء للوجود الإسلامي بين المهاجرين في فرنسا. وتدخل شيراك وكون لجنة من الحكماء لإبداء الرأي، فرأت التوفيق بين منع الرموز الدينية من ناحية، واقتراح الاعتراف بعيد الأضحى عطلة رسمية للبلاد مجاملة للمسلمين من ناحية أخرى. واختار شيراك منع الرموز الدينية "الظاهرة" - إسلامية وغير إسلامية - كحل سياسي وإرضاء للشعور العام الفرنسي الغالب في هذا الوقت. واحتاج الأمر إلى استصدار قانون خاص من البرلمان لهذا الغرض. مما يعني أن مبادئ العلمانية السائدة في فرنسا لم تكن وحدها كافية للأخذ بهذا الحل. وهكذا نجد أن الموقف الفرنسي المتشدد يجد تفسيره في ظروف الثورة الفرنسية وموقفها العدائي من كل المظاهر الدينية ثم ازداد الأمر تعقيداً مع ازدياد موجه العداء لما أطلق عليه "الإرهاب الإسلامي" في الوقت الحاضر.

وعلى العكس، ففي الولايات المتحدة والتي كانت موقع أحداث ١١ سبتمبر، فإن أحداً بها لم يثر - كما في إنجلترا - مسألة الحجاب. والسبب في ذلك هو أن العلمانية لم تنشأ في أمريكا أصلاً في شكل معاد للأديان، وإنما جاءت في مجتمع متدين حريص على حماية حرية العقائد لمختلف الطوائف. فالدعوة إلى العلمانية جاءت في أمريكا دعماً للحريات الدينية والممارسات العقائدية ولم يكن رفض السلطة الدينية إلا بسبب ما يمكن أن يؤدي إليه وجود مثل هذه السلطة إلى التمييز في المعاملة بين مختلف الطوائف الدينية. فالعلمانية في أمريكا - كما في إنجلترا - هي دعوة إلى حرية الاعتقاد والحريات الدينية.

وماذا عن تركيا؟ الوضع في تركيا يجعلها أقرب إلى محاربة الرموز الدينية منها إلى الدفاع عن الحريات الدينية. لماذا؟ تركيا الحديثة ليست مجرد دولة إسلامية تأخذ

بالعلمانية، بل أنها دولة حديثة قامت على أنقاض دولة الخلافة الإسلامية. فالدولة العثمانية لم تكن دولة تركية وإنما كانت إمبراطورية إسلامية متعددة الأجناس والديانات ويمتد نفوذها من الهند إلى وسط أوروبا مروراً بالشرق الأوسط وشمال إفريقيا. ولذلك فإن مؤسسي الدولة التركية الحديثة - كمال أتاتورك وأنصاره - أرادوا تأسيس دولة جديدة على أسس مناقضة تماماً للدولة العثمانية وقطع كل علاقة مع الماضي.

فهذه الدولة الجديدة هي دولة للشعب التركي وليست خلافة للمسلمين، واللغة التركية يجب أن تنفصل تماماً عن اللغة العربية وبالتالي كان من الضروري هجر حروفها العربية وفرض الحروف اللاتينية عليها، وغطاء الرأس - الطربوش - والذي أدخله السلطان محمود الثاني، يجب أن يستبعد تماماً ويستبدل بالقبعة، رغم أن الطربوش جاء اختراعاً تركياً بتعديل القبعة الأوروبية بإزالة حوافها لتسهيل الصلاة، فأصر أتاتورك على عودة الطربوش إلى أصله غير المعدل (القبعة). وهكذا فإن الدولة التركية الحديثة ولدت في شكل من أشكال العداء للماضي الإسلامي. فهذه دولة قامت على أنقاض الخلافة الإسلامية وتخشى أن تكون عودة الرموز الإسلامية إيذاناً بعودة شبح الماضي. وإذا كانت الدولة العثمانية قد ارتكبت الكثير من الأخطاء بل والخطايا، فلم يكن من بينها التمييز الديني. فقد عرفت الدولة العثمانية - في وقتها - درجة من التسامح الديني لم يكن معروفاً في معظم الدول الأوروبية. ولذلك فإن قضية الحريات الدينية لم تكن أبداً مشكلة في تركيا، وأصبح الهاجس الأكبر الآن هو الخوف من عودة ماضي الخلافة الإسلامية.

وبالإضافة على ما تقدم، فإن هناك من أنصار مدرسة المؤامرة - ولست منهم - من يرى أن معظم رجال حزب "الاتحاد والترقي" والذين كانوا وراء إنشاء تركيا الحديثة كانوا من أتباع طائفة "الدونمة". وهي طائفة من اليهود الإسبان الذين وفدوا إلى تركيا في

القرن السابع عشر. وظهر من بينهم "سباتاي زيفي" الذي ادعى أنه المسيح وتبعته جموع وفيرة من اليهود. وعندما ذاع صيته وزاد خطره بدأت السلطات العثمانية في محاكمته، فآثر السلامة وأعلن إسلامه وتسمى باسم "محمد عزيز أفندي". ويقال أن إسلامه كان ظاهرياً وأنه ظل على يهوديته باطنياً ودعا اتباعه (الدونمة) إلى دخول الإسلام كذلك مع بقائهم على ديانـاتهم الحقيقـة. ويقـال أن طلعت باشـا رجـل "الاتحـاد والترقـي" ورئـيس الوزراء كان من هذه الطائفة وكذا مصطفى كما أتاتورك ومعظم رفاقه. وهكذا ترى هذه النظرية أن العلمانية جاءت في تركيا - في جزء منها - مناهضة للإسلام.

وأياً كان الأمر، فإن ما قد يبدو تشدداً أو تطرفاً في فرنسا أو تركيا باسم العلمانية إنما هو نتيجة تاريخ خاص لكل منهما، والمهم ليس هو ما تفعله العلمانية بنا، ولكن ما نفعله نحن بالعلمانية. وعندي أن العلمانية تدعو إلى رفض السلطة الدينية أياً كان مصدرها، وأن هدفها هو حماية الحريات الدينية للجميع دون تمييز.

والله أعلم.

الأهرام ١٣ مايو ٢٠٠٧

* * * * *

ملحق ٤:

قرن من عمليات الإبـــادة

ريتشارد كابوشنسكي

إن الأنظمة القومية والسلطوية والكليانية في عصرنا تشترك في نظرة إلى الآخر باعتباره تهديداً يمثل القوى الأجنبية والهدامة. إنها ظاهرة ثقافية عالمية. فليس من حضارة استطاعت مقاومة مرض الكراهية والاحتقار والتدمير الذي تنشره مختلف الأنظمة في مختلف الأرجاء. وإذ يأخذ هذا المرض مداه يتخذ شكل الإبادة المشؤوم الذي يشكل إحدى السمات المأسوية والمتواترة في عالمنا المعاصر.

يستسهل البعض النزعة الملائمة لاعتبار مختلف فصول تاريخ الابادات كأنها حلقات "غير مفهومة" ومعزول بعضها عن البعض. فيرون في كل منها انفجاراً للغضب الجماعي. وبما انه، وعملاً بنظرية كارل ياسبرز حول الخطأ الماورائي، تلفنا هذه الأحداث بالعار فنحاول نسيانها في أسرع ما يمكن وتكليف المؤرخين المتخصصين شؤون البحث في هذه المسألة الدقيقة والمؤلمة.

رغم ذلك يكفي التوقف بعناية عند بعض عمليات الغبادة من اجل رفض نظرية الانفجار اللاعقلاني. ففي أساس كل فعل إبادة هناك في الواقع أيديولوجيا كراهية يجري نشرها في صورة واسعة ومنهجية. إذ سبقت عمليات الإبادة في كل مرة تحضيرات تقنية طويلة لا تتغير يؤمّنها الجهاز البيروقراطي للدولة الحديثة. هذا ما سمح لبعض علماء السياسة والفلاسفة من أمثال: زيغموند بومان ووالتر لاكور او حنه اراندت أن يتقدموا بهذا الطرح المقلق: أن الحضارة المعاصرة تحمل في طبعها وجوهرها وديناميتها سمات يمكنها ضمن ظروف وزمان محددين أن تولّد فعل إبادة. إنها لخلاصة مخيفة وتحذير أخلاقي منذر بالخطر.

لكن متى يبرز خطر كهذا؟ تحديداً في اللحظة التي تحدث فيها قطيعة بين الثقافي والمقدس، أي عندما يضعف أو يختفي البعد الروحي لثقافة ما، عندما يسيطر الخمول الأخلاقي على مجتمع ما فتضمر حساسيته على الفراغ والشر لتختنق وتدخل في سبات.

في النهاية إن الوصية المسيحية التي تتعرض اليوم لأكبر قدر من التجاهل والاستهزاء هي تلك التي تدعو إلى محبة الأخ. لا بد أن العلاقة مع الآخر كانت تثير مشكلة في تلك الأزمنة الغابرة بما أن أحد أقدم النصوص المكتوبة يحتوي على وصية لا لبس فيها: "أحب أخاك كما تحب نفسك" هل يجب الاعتقاد أن رفض الآخر، إن لم يكن شعور العداوة حياله، يشكل سمة متأصلة في الطبيعة البشرية؟ الواقع أن جميع أيديولوجيات الكراهية المعاصرة، القومية والفاشية والستالينية والعنصرية، استغلت نقطة الضعف المتمثلة في استعداد الإنسان لرفض الآخر ومن باب أولى لرفض المجهول وهو شعور نجحت بعض الأنظمة في تحويله عدائية، لا بل استعداداً لارتكاب الجرائم.

لقد اتخذت نتائج هذه الحال المرضية أحجاماً فظيعة في عصرنا هذا الذي زوّد السلطة بنية دولة فاعلة مجهزة بأحدث التقنيات بما في ذلك تقنيات القتل. هكذا برزت ظاهرة الإبادة الصناعية المخيفة.

إن الإبادة عمل إجرامي عن سابق تصور وتصميم، يجري تنظيمه وتنفيذه بصورة منهجية بهدف القضاء على جماعات مدنية يتم اختيارها وفق معايير الجنسية أو العرق أو الدين.

لقد عرف القرن العشرون تسعة فصول من الإبادة على الأقل (وكلمة "فصل" ليست الأفضل لأن هذه المجازر دامت لوقت طويل) وهي بالترتيب الزمني، مذبحة الأرمن على يد تركيا الحديثة (١٩١٥ - ١٩١٦)، القضاء على ملايين الفلاحين الأوكرانيين بواسطة التجويع على يد النظام الستاليني (١٩٣٢ - ١٩٣٣)، إفناء سكان ناتكي

وضواحيها على يد الاحتلال الياباني (١٩٣٧ - ١٩٣٨)، محرقة يهود أوروبا التي ارتكبها النازيون (١٩٤١ - ١٩٤٥)، قتل ملايين الهنود المسلمين والهندوس عند تقسيم الهند (١٩٤٧ - ١٩٤٨)، ملايين الضحايا الذين سقطوا من جراء الثورة المعروفة بالثقافية والتي قادها نظام ماو تسي تونغ في الصين في السنوات ١٩٥٠ و١٩٦٠، تدمير الشعب الكمبودي (١٩٧٥ - ١٩٧٨)، القضاء على قسم كبير من شعب تيمور الشرقية بواسطة الجيش الاندونيسي والميليشيات الموالية لاندونيسيا ابتداء من العام ١٩٧٥، تصفية جماعات التوتسي على يد نظام الهوتو في رواندا عام ١٩٩٤.

هذه اللائحة ليست كاملة إذ كان القرن العشرون، بالإضافة إلى ذلك، غنياً بالأحداث الشبيهة ولكن يصعب تصنيفها بشكل جازم، خصوصاً في السودان وسيراليون والبلقان.

إذا بحثنا عن المعايير والقواسم المشتركة في متاهة الجرائم والأكاذيب والأحقاد هذه لبرزت معنا بعض الصفات المشتركة.

فجميع عمليات الإبادة ليست نتاج ثقافة واحدة إذ ارتكبتها بلدان تنتمي إلى دوائر ثقافية متنوعة. وهذا ما يبرهن على سخافة القول بوجود ثقافة معينة تتمتع باستعداد وراثي لارتكاب مجازر الإبادة.

هناك رابط واضح بين الحرب والإبادة، فجميع الحالات التي ذكرناها حصلت في جو من الحرب أو التهديد بالحرب.

لم تحصل أي عملية إبادة في بلد تسوده الديموقراطية، وتبدو هذه حتى الآن الحاجز الوحيد الفاعل في وجه نزاعات الإبادة.

كل تخطيط لعملية إبادة قامت بها السلطة بدأت بتدمير صورة العدو أو الضحية المقبلة في أوساط رعايا هذه السلطة. وكلما كان العدو المشار إليه موجوداً في قلب المجتمع المعني - داخل العائلة أو القرية أو المدينة أو الجماعة - ما بدا خطيراً. فهو

يعيش تحت السقف نفسه وقادر تالياً على إضرام النار في البيت ودس السمّ لساكنيه. إن عدوا بعيداً ومجرداً لا يتمتع بصفات مميزة يسهل تخيلها وتكون مخيفة بحيث تدفع إلى ارتكاب المجازر.

يمكن أن يكون العدو متحدراً من أصول مختلفة - طبقة أخرى أو ديانة أو إثنية أخرى - لكن لجهة الدعاية تلصق به دائما صفة واحدة هي "عدو الشعب". طوال القرن العشرين نظر إليه على أنه تهديد للوجود القومي ويمثل الخطر الأعظم.

و يلاحظ البروفسور زيغموند بومان في مؤلفه "الحداثة والمحرقة" إن نزعة الإبادة وجدت في التقدم التكنولوجي سنداً لها حيث يسمح هذا التقدم بارتكاب عملية القتل عن بعد، وليس باليد مما يحرر المحرضين من الندم المحتمل. لكن هذا النمط ليس عمومياً إذ أعطى منظمو الإبادة في رواندا عام ١٩٩٤ الأوامر عن قصد إلى ميليشياتهم بالقتل ليس بواسطة الأسلحة الاوتوماتيكية بل بالساطور. إن الذبح باليد يعزز على الصعيد الرمزي تماسك صفوف القاتلين.

وفي كل حال من الحالات يسبق الوصول إلى المجزرة والى إبادة الجماعة المضطهدة حقبة من العذاب والتجويع والإذلال والإرهاب ليشعر الضحايا بأن الموت يصير نوعاً من أنواع الرحمة والخلاص.

أخيراً وفي جميع الحالات أيضاً يجري تحضير عملية الإبادة وتنفيذها في إطار اجتماعي تسوده أزمة اقتصادية وسياسية وأخلاقية عميقة، في لحظة يكون فيها الضمير الديني متوارياً والمشاعر ضامرة وقدرة التمييز بين الخير والشر معدومة.

لقد شكل مرض السلطة المعاصر المتحول في حالاته القصوى إلى الإبادة، موضوعاً لمئات الكتب وآلاف الأبحاث وكمية كبيرة من الوثائق. يظهر من قراءة هذه المواد أنه يتم بحث كل عملية إبادة ومراقبتها على حدة، يصار إلى وصفها بطريقة

موضوعية طبعاً لكنها تدرس كعنصر مستقل لا علاقة له بجرائم أخرى مماثلة. لكن في الوقت الذي تتميز فيه هذه الفصول الشائنة بخصوصيتها - مثل الطابع الاستثنائي للمحرقة النازية - فإن دوافع الجريمة وآليتها يتضمنان صفات مشابهة. وخصوصاً أن كل فصل منها لا يطاول فقط مجموعة معينة من الأشخاص - دينية أو إثنية أو اجتماعية أو خلقية - بل يشكل كارثة جماعية تطال المجتمع بأكمله. إنها هزيمة كبرى للنزعة الإنسانية وخطأ يقع على عاتق جميع أهل الأرض.

إن التقويم التحليلي والشامل للقرن العشرين يجعل منه عموماً قرن النظامين الكليانيين، الفاشية والشيوعية، وقرن الحربين العالميتين. انه قرن اوشويتز وهيروشيما. في المقابل، لا نجد أي تأكيد انه كان قرن عمليات إبادة - مهما كانت القارة أو الحقبة أو الثقافة التي حصلت ضمنها - متكررة، مصممة ومنظمة على أيدي حكومات قائمة أدت إلى عدد هائل من الضحايا الأبرياء في أغلب الأحيان. بالفعل فان مجازر القرن العشرين تسببت بعدد ضحايا يفوق ضحايا الحروب العالمية. أما الدمار الماضي الذي تسببت به فيصعب عموماً تقويمها.

لماذا نرفض النظر إلى زمننا على انه يولّد بشكل دوري ومنهجي يصعب فهمه هذا النوع من الجرائم الكبيرة؟ لماذا لا نبحث عن العلاقات الواضحة المعالم بين الإبادة التي تسببت بها ثورة ماو تسي تونغ الثقافية وإفناء ملايين السكان في كمبوديا ومئات آلاف الضحايا من الراوانديين؟ كل هذه الأحداث وقعت في الفترة نفسها ضمن قريتنا الكونية، عالم الاتصالات الفاعل والمعقد والمزود قدراً مفرطاً من المعلومات، كرة أرضية تحت الرقابة المشددة لشبكة من الأقمار الاصطناعية وحشد من موظفي المنظمات الدولية...

أليس التبسيط القائم على وصف كل عملية إبادة على حدة كأنها منفصلة عن تاريخنا الغاشم وتحديداً عن شطط السلطة في أماكن أخرى من العالم، أليس هذا التبسيط وسيلة

لتفادي الأسئلة الفظة والأساسية المتعلقة بعالمنا وبالأخطار الجاثمة فوقه؟ إن فصول الإبادة إذ توصف ويحدد لها مكان على هامش التاريخ والذاكرة، لا ينظر إليها كجزء من تجربة جماعية وكامتحان مشترك يجمعنا كلنا.

هناك نتيجة مؤسفة أخرى: فغالباً ما يجهل الناس ضمن حضارة وقارة معينة انه يصار إلى إبادة جماعة أو شعب آخر فوق قارة أخرى ضمن دائرة ثقافة أو إثنية أخرى. حتى جريمة من قياس المحرقة النازية يتم تجاهلها في أفريقيا أو الهند. فالجرائم المرتكبة داخل بلد محدد لا تعني سوى ضمير هذا البلد ونادراً ما تصل أصداؤها نحو ثقافات أخرى.

إن السلطة وخصوصاً الدولة التي ترتكب عملية الإبادة تفلت من العقاب بشكل كبير. وتمثل محاكمة نورنبرغ استثناء جرت خلاله محاكمة قسم ضئيل من المجرمين النازيين. يحدث أحياناً أن يجلس موظف دولة في قفص الاتهام. لكن عموماً يضعف العقاب كلما كانت مرتبة المجرم عالية في الدولة. يمكن أن يصل سفاح صغير إلى حبل المشنقة لكن يصعب الوصول عموماً إلى جلاد عالي المقام. تلك هي نقطة الضعف في نظام العدالة الدولية المتميزة بهشاشتها وتناقضها وانتهازيتها.

نادرة هي الحالات التي يعترف فيها مسؤولو دولة بأنهم دبروا عملية إبادة. ويشكل الألمان الاستثناء الذي يثبت القاعدة. ففي غالبية الحالات الأخرى تنكر السلطة أي اتهام بالإبادة أو أنها تحافظ على صمت متصلب. فالحكومة التركية لا تزال حتى اليوم تنفي تعرض مليون ونصف مليون ارمني للقتل في بلادها تحت الحكم العثماني. الحكومة الروسية تسكت عن موت عشرة ملايين فلاح أوكراني. حكومة بيجينغ ترفض الاتهام بالقضاء على عشرين مليوناً من مواطنيها في الستينات.

والأكثر إحباطاً هو ضياع الرأي العام واللامبالاة الأخلاقية والعجز عن مواجهة

الشر. فنعتاد على هذا الأخير إلى درجة يفقد في نظرنا ما يحمله من إنذار. فبعدما حمل الصفات الشيطانية صار منذ زمن طويل أمراً معتاداً يتخذ مظهراً غير لافت يخدعنا بطابعه العادي ويذوب تماماً في يومياتنا.

وإذا كان الشر في الماضي يرجع إلى ظواهر من نوع الانفجار اللاعقلاني أو الفورة غير المفهومة للغرائز العمياء أو التعطش المحموم للثأر، فانه بات يظهر أكثر فأكثر على شكل تنظيم بارد ومخادع، فصرنا نتحدث عن "الإجرام المنظم" و"اللاشرعية المنظمة" و"الجريمة المنظمة" الخ.

وبما انه لا يوجد أي آلية أو حاجز شرعي، مؤسساتي أو تقني، قادر على مواجهة أعمال الإبادة الجديدة بشكل فاعل، فان مواجهتها تكون بالمعنويات المرتفعة للأفراد والمجتمعات: الضمير الروحي الحيّ، الإرادة القوية لعمل الخير، التطبيق الدائم والمتنبه للوصية القائلة: "أحب أخاك كما تحب نفسك!".

نشر المقال في لوموند ديبلوماتيك الفرنسية عدد مارس ٢٠٠١.

* * * * *

obeikandl.com

مصادر الدراسة :

أولا كتب بالعربية:

* معجم ألفاظ القرآن الكريم – إصدار: مجمع اللغة العربية (الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث) – مصر – ١٩٩٠.

* الإسلام ومستقبل الحضارة – الشيخ الدكتور صبحي الصالح – دار الشورى (لبنان) – دار قتيبة (سوريا) – الطبعة الثانية – ١٩٩٠.

* الثقافة الإسلامية وحواضرها – أمين مدني – دون ناشر – مصر – ١٩٨٠ – من صفحة ١٨٧ – ١٩٢.

* الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود – د. مراد هوفمان – تعريب: عادل المعلم ويس إبراهيم – الناشر: مكتبة الشروق الدولية – مصر الطبعة الأولى – ٢٠٠١.

* تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس: بحث في الملكة العلمية عن طريق تاريخ علم واحد في بلد واحد – تأليف: الأستاذ الدكتور حسين مؤنس – تقديم: الأستاذ الدكتور محي الدين صابر – الطبعة الثانية ١٩٨٦ – الناشر: المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ومكتبة مدبولي – القاهرة.

* الإسلام العدو: بين الحقيقة والوهم – تحرير: يوخين هيبلر وأندريا لويج – ترجمة: أيمن شرف – الناشر: الفرسان للنشر والتوزيع – مصر – سنة النشر ١٩٩٤.

* إبليس – عباس محمود العقاد – كتاب الهلال – مصر – ١٩٦٧

* معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية – بدوي أحمد زكي – بيروت – مكتبة لبنان – ١٩٩٣.

* موسوعة "اليهود واليهودية والصهيونية" – تأليف وإشراف الدكتور عبد الوهاب

المسيري – دار الشروق مصر – ١٩٩٩.

* صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم – مجموعة من الباحثين – وزارة التربية والتعليم السعودية – سلسلة كتاب المعرفة – عدد ١٢ – الطبعة الأولى ٢٠٠٣.

* التسامح – دكتور عصام عبد الله – أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي – طبعة خاصة بمكتبة الأسرة – مصر – ٢٠٠٦.

* القاموس القويم للقرآن الكريم – إبراهيم عبد الفتاح – مجمع البحوث الإسلامية – مصر – ١٩٩٦.

* الاعتصام – أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي – الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م – بيروت – دار المعرفة.

ثانيا: مقالات وتقارير إخبارية بالعربية:

* وثيقة المدينة المنورة – وثيقة السلام في مجتمع متعدد الثقافات والأديان – علي بولاج – مجلة حراء – تركيا – عدد ٣ – أبريل/ يونيو) ٢٠٠٦.

* فاتح عبد السلام – شعوب وقبائل: ركيزة الانفتاح علي الآخر في العقل الإسلامي – مقال – جريدة الزمان اللندنية – العدد ١٧٣٤ – ١٧ – ٢ – ٢٠٠٤

* دكتور حمدي شعيب – تحسين العلاقات مع الآخرين – مقال – مجلة المجتمع الكويتية – عدد ٢٠٠٤/٨/٧

* متاهات المفاهيم عند تعريف الثقافة: شيشر أول من سمي الفلسفة ثقافة الروح – عدنان المبارك – مقال – جريدة (الزمان) اللندنية – العدد ١٥٦٤ – ٢٠٠٣ – ٧ – ٢٣.

* تعدُّد تعريفات مفهوم الثقافة – مقال – جريدة الرياض السعودية – ٢٩ – ١ –

٢٠٠٦ – إبراهيم البليهي.

* الحجاب يثير جدلا جديدا في أوروبا وأميركا – الجزيرة نت ١٠ / ١٠ / ٢٠٠٣

* ارتداء الحجاب في المدارس: قضاة جبناء وخيبة أمل مرة – جريدة القدس العربي اللندنية – ٢٥ / ٩ / ٢٠٠٣

* ألمانيا: محكمة الدستور تجيز لمعلمة مسلمة ارتداء الحجاب – جريدة الشرق الأوسط اللندنية – ٢٥ / ٩ / ٢٠٠٣

* "رافاران" يؤيد سن قانون يمنع الحجاب – هادي يحمد – إسلام أون لاين. نت – ١٧/ ١٠ /٢٠٠٣

* فرنسا والحجاب: كلاكيت مرة ثانية: طرد شقيقتين محجبتين من مدرستهما في باريس يعكس الصعوبة والغموض التي يواجهها الفرنسيون في علاقتهم مع الدين الإسلامي – تقرير – ميشال موتو – موقع ميدل إيست أون لاين الإخباري على الانترنت – 15 – 10 – 20003

* شيراك يقول إن الحجاب الإسلامي في المدارس "عدواني" – تقرير لوكالة رويترز للأنباء – ٥ – ديسمبر ٢٠٠٣

* رد فعل سويسري على الحجاب في ألمانيا – وكالة الأنباء الفرنسية سويس إنفو – ٢٦ / ٩ / ٢٠٠٣ – تامر أبو العينين.

* فرنسا: الكنيسة تؤيد الحجاب دفاعاً عن الحريات الدينية – آرليت خوري – جريدة الحياة اللندنية – ١١ / ١١ / ٢٠٠٣

* تقرير إخباري – الجزيرة نت ١٠ / ١٠ / ٢٠٠٣

* تقرير لوكالة رويترز للأنباء – موقع وكالة الأنباء السويسرية (سويس إنفو)

- ٨ - ١٢ - ٢٠٠٣

* العلمانية الفرنسية مشكلة وليست حلاً - مقال - رفيق عبد السلام (باحث في جامعة وستمنستر - لندن) - جريدة الحياة اللندنية - ٢٤ - ٩ - ٢٠٠٣.

* نصف الفرنسيين لا ينتمون إلى أي كنيسة: من هم هؤلاء الذين لا دين لهم؟ - دومينيك فيدال - لوموند ديبلوماتيك - سبتمبر ٢٠٠١

* قضية الحجاب في فرنسا أو معركة بواتييه الثانية - مقال - الحسن السرات - نقلا عن مجلة العصر الإليكترونية - ws .alasr .www

* ثقافتنا وثقافة الآخر - مقال - دكتور عامر ملوكا (أستاذ جامعي /ملبورن/استراليا - نقلا عن موقع: http: //www. kaldaya. net

* * مسألة الآخر - خالص جلبي - مقال - جريدة الشرق الأوسط اللندنية - ٢ - ١ - ٢٠٠٢.

تقارير من موقع القسم العربي لإذاعة الدويتشه فيلله http: //www. dwelle. de/arabic:

* تقرير عن صورة الإسلام على قنايّ التلفزيون الألماني - ٣ - ٣ - ٢٠٠٧.

* قضية الحجاب أمام محكمة الدستور الاتحادية - منى صالح

* المحكمة الدستورية العليا تسمح للمحجبات المسلمات بالتدريس إذا لم تمنع قوانين الولايات ذلك - اسكندر الديك.

* ردود الأفعال على قرار السماح بارتداء غطاء الرأس في المدارس الألمانية - يسنس توراو - ترجمة: حسن آل بلال

* القضاء الألماني يعيد إلى التدريس معلمة ألمانية ترتدي غطاء الرأس - تعليق: بيتر

فيليب – ترجمة: حسن آل بلال

* ولايتان المانيتان تقرران سن قانون يمنع تحجب المعلمات المسلمات – إعداد: اسكندر الديك – ١٢ / ١١ / ٢٠٠٣

ثالثا: مقالات بالإنجليزية:

* The French Experience from Republic to Monarchy, 1792 - 1824 - Jeff Horn, Manhattan College - France Review Vol. 4 (March 2004), No. 26

* Liberty, fraternity and brutality - article - Daily Telegraph - 22/05/2005

* Heads, you lose - article - TIMES - June 11, 2005 - Ruth Scurr

* The Terror: Civil War in the French Revolution - article - June The Sunday Times - 19, 2005 - BY ANDREW ROBERTS.

* Let them eat dirt - article - Adam Thorpe - Saturday July 2, 2005 - The Observer.

* * * * *

obeikandl.com

ممدوح الشيخ.... سيرة ذاتية

الاسم: ممدوح محمود محمد الشيخ علي

الشهرة: ممدوح الشيخ

تاريخ الميلاد: ١٤ / ٨ / ١٩٦٧

الجنسية: مصري

* عضو منظمة "كتاب بلا حدود" (ألمانيا).

* وردت لـــه ترجمة في الطبعة الأولى من: "معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين". (مؤسسة البابطين – الكويت).

* وردت لـــه ترجمة في الطبعة الأولى من: "معجم أدباء مصر" (الهيئة العامـــة لقصـــور الثقافة – مصر).

* * * * *

obeikandl.com

أعمال إبداعية منشورة

١ – نـــقـــوش على قبور الشهداء (ديوان شعر).

مركز يافا للدراسات والأبحاث - مصر.

الطبعة الأولى ١٩٩٦.

الطبعة الثانية ٢٠٠٣.

طبعة إليكترونية على nasihri. net - ٢٠٠٤.

طبعة إليكترونية على. .com Diwanalarab - ٢٠٠٤.

٢ – عاصمة للبيع (مسرحية).

دائرة الثقافة والإعلام بإمارة الشارقة - دولـة الإمارات - ٢٠٠٠.

٣ – هو المستحيل (قصيدة شعر).

مركز يافا للدراسات والأبحاث - مصر - ٢٠٠٣.

طبعة إليكترونية على. nashri.net - ٢٠٠٣.

٤ – الحلم المسروق (ديوان شعر بالعامية).

مركز يافا للدراسات والأبحاث - مصر - ٢٠٠٣.

٥ – الندى والموت (ديوان شعر).

مركز يافا للدراسات والأبحاث - مصر - ٢٠٠٣.

طبعة إليكترونية على. .com Diwanalarab - ٢٠٠٤.

طبعة إليكترونية على -. nashri.net - ٢٠٠٤.

6 – القاهرة.. بيروت.. باريس (رواية)

الدار العربية للعلوم - بيروت - ٢٠٠٦.

* * * * *

obeikandl.com

كتابات نقدية تناولت أعماله

* "ممدوح الشيخ وعماد أو صالح شعاعان من شمس شعر تشرق"، منشور في: "كتابة: رؤى وذات" - صافي ناز كاظم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر - ٢٠٠٣.

* "مقاربات نقدية في شعر ممدوح الشـــيخ" - تأليف الأساتذة: رمضان أبو غالية - صبري عبد الرحمن - أحمد مرسال - سامح القدوسي - إصدارات نادي الأدب ببيت ثقافة قويسنا - مصر - ٢٠٠٤.

* "المسرح الإقليمي بين حضور المضمون وغياب الشكل" - الدكتور أيمن الخشاب - دراسة منشورة في: "الأدب والأيديولوجيا" - أبحاث المؤتمر الأدبي السابع لإقليم غرب ووسط الدلتا الثقافي - إصدارات إقليم غرب ووسط الدلتا الثقافي - الهيئة العامة لقصور الثقافة - وزارة الثقافة - مصر - ٢٠٠٦.

* رسالة ماجستير عن مسرحيته عاصمة للبيع في جامعة جنت البلجيكية للمستشرقة البلجيكية ماريكي فان كرايسبليك - ٢٠٠٦. (قيد الترجمة)

* * * * *

obeikandl.com

مؤلفات أخرى منشورة

١ – أشهر الأحلام في التاريخ مكتبة ابن سينا – مصر – ١٩٩٣.

٢ – المسلمون ومؤامرات الإبادة مكتبة مدبولي الصغير – مصر – ١٩٩٤.

٣ – التنبؤات والأحلام من الخرافة إلى العلم دار التضامن – لبنان – ١٩٩٦.

٤ – الإسلاميون والعلمانيون من الحوار إلى الحرب

الطبعة الأولى – دار البيارق – الأردن – ١٩٩٩.

الطبعة الثانية – مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع – الأردن.

٥ – البابا شنودة والقدس: الحقيقي والمعلن خلود للنشر – مصر – ٢٠٠٠.

٦ – الشعراوي والكنيسة: ماذا قال الأنبا للشيخ؟

(طبعة إليكترونية – kotob. com .- e – ٢٠٠٢).

٧ – مقاربات نقدية في شعر رمضان أبو غالية (بالاشتراك مع الأساتذة: صبري عبد الرحمن، أحمد مرسال، سامح القدوسي) من إصدارات نادي الأدب ببيت ثقافة قويسنا – مصر – ٢٠٠٤.

٨ – الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة في آتون ١١ سبتمبر: مفارقات النشأة ومجازفات التحول – مكتبة مدبولي – مصر – ٢٠٠٥.

٩ – حرية التعبير بين القانون العادل والقاضي الظالم – منشور في: بحوث مؤتمر "الأدب وحدود حرية التعبير" – فرع ثقافة المنوفية – إقليم غرب ووسط الدلتا الثقافي – الهيئة العامة لقصور الثقافة – وزارة الثقافة – مصر – ٢٠٠٦.

* * * * *

أعمال أعدها للنشر أو حررها

اكتشف وأعاد نشر رواية: "اعترافات حافظ نجيب: مغامرات جريئة مدهشة وقعت في نصف قرن" للمغامر المصري حافظ نجيب، وهي الرواية التي اقتبس عنها المسلسل التلفزيوني المصري الشهير "فارس بلا جواد". وقد قدم لها وألحق بها دراسة عن حياة مؤلفها.

١ – اعترافات حافظ نجيب: مغامرات جريئة مدهشة وقعت في نصف قرن (إعداد للنشر).

الطبعة الأولى – ١٩٩٦ – دار الحسام – لبنان – مصر.

الطبعة الثانية – دار الانتشار العربي – بيروت – ٢٠٠٣.

٢ – حرر (بالاشتراك) موسوعة "اليهود واليهودية والصهيونية" – ٨ مجلدات – لمؤلفها المفكر العربي الإسلامي المرموق الدكتور عبد الوهاب المسيري – دار الشروق – مصر – ١٩٩٨.

٣ – حرر (بالاشتراك) موسوعة "اليهود واليهودية والصهيونية" – لمؤلفها المفكر العربي الإسلامي المرموق الدكتور عبد الوهاب المسيري – نسخة ميسرة ومختصرة (مجلدان) – دار الشروق بمصر بالاشتراك مع مركز زايد للتنسيق والمتابعة بدولة الإمارات – ٢٠٠٤.

* * * * *

أعمال تحت الطبع

١ – العلمانية والدين: اقتراب جديد – دار التضامن – لبنان.

٢ – القصة القصيرة المصرية: النشأة – التطور – التمرد – دار الشرق الأوسط – سراييفو.

٣ – (ترجمة) فرنسا في القرن التاسع عشر (١٨٣٠ – ١٨٩٠) – تأليف: إليزابيث لاتيمار.

٤ – الوصايا.

٥ – الشعراوي والكنيسة: ماذا قال الأنبا للشيخ؟

٦ – الأقباط والدولة والغرب: من الصياد ومن الفريسة؟

* * * * *

دوريات نشرت دراساته ومقالاته وقصائده:

جريدة الحياة (لندن) – جريدة القدس العربي (لندن) – مجلة الغد العربي (لندن) – مجلة النور (لندن) – جريدة المسلمون (لندن) – مجلة مراصد (لندن) – جريدة المستقلة (لندن) – مجلة الكلمة (لندن) – جريدة الاتجاه الآخر (هولندا) – جريدة الأيام العربية (قبرص) – مجلة الشاهد (قبرص) – مجلة رسالة الجهاد (مالطة) – مجلة الرائد (ألمانيا) – مجلة الدليل (ألمانيا) – مجلة الإسلام وفلسطين (ألمانيا) – مجلة القلم (أمريكا) – مجلة الصراط المستقيم (أمريكا) – مجلة الرشاد (أمريكا) – جريدة الوطن (أمريكا) – جريدة الوفاق (إيران).

جريدة البيان (الإمارات) – مجلة تراث (الإمارات) – مجلة منار الإسلام (الإمارات) – مجلة المنتدى (الإمارات) – مجلة شؤون اجتماعية (الإمارات) – جريدة العالم الإسلامي (مكة المكرمة) – المجلة العربية (السعودية) – مجلة الفيصل (السعودية) – مجلة الحرس الوطني (السعودية) – مجلة كلية الملك خالد العسكرية (السعودية) – مجلة الآطام (السعودية) – مجلة أبعاد (السعودية) – جريدة الجزيرة (السعودية) – جريدة اليوم (السعودية) – مجلة الوعي الإسلامي (الكويت) – المجلة الخيرية (الكويت) – جريدة الرأي العام (الكويت) – جريدة الفنون (الكويت) – مجلة قرطاس (الكويت) – مجلة التقدم العلمي (الكويت) – مجلة الفرقان (الكويت) – مجلة الهداية (البحرين) – جريدة الشرق (قطر) – جريدة الاتحاد (العراق) – جريدة اليومية (العراق) – جريدة البلد (لبنان) – مجلة الفكر الجديد (لبنان) – مجلة الوحدة الإسلامية (لبنان) – مجلة الحجة (لبنان) – جريدة الاستقلال (فلسطين المحتلة) – جريدة فلسطين (فلسطين المحتلة) – جريدة التجديد (المغرب) –

جريدة الصحافة (السودان) – جريدة الثورة (اليمن) – جريدة الغد (الأردن).

مجلة المختار الإسلامي (مصر) – مجلة المنار الجديد (مصر) – مجلة حوارات المستقبل (مصر) – مجلة منبر الشرق (مصر) – جريدة الشعب (مصر) – جريدة الأسبوع (مصر) – جريدة مصر (مصر) – جريدة صوت الشعب (مصر) – جريدة الأحرار (مصر) – جريدة العربي (مصر) – جريدة الجمهورية (مصر) – مجلة مراجعات (مصر) – مجلة البداية (مصر) – جريدة القاهرة (مصر) – جريدة المصري اليوم (مصر) – جريدة نهضة مصر (مصر) – جريدة الدستور (مصر) – جريدة اللواء الإسلامي (مصر) – جريدة آفاق عربية (مصر) – جريدة الرسالة الجديدة (مصر).

* * * * *

openkandl.com

جوائز

حاصل على جوائز عديدة عن إبداعه في الشعر والمسرح داخل مصر وخارجها منها:

* جائزة مؤسسة "اقرأ الخيرية" – مصر – المسابقة الثقافية للشباب لعام ١٩٩١ – المركز الثالث في مجال الشعر.

* جائزة مؤسسة "اقرأ الخيرية" – مصر – المسابقة الثقافية للشباب لعام ١٩٩٢ – المركز الثاني في مجال المسرح عن نص ما زال مخطوطا.

* جائزة أفضل قصيدة (المركز الثاني) من "المجلس الأعلى للثقافة" – مصر – ١٩٩٩ – عن قصيدة "نقوش على قبر شهيدة".

* جائزة "الإبداع العربي" من: "دائرة الثقافة والإعلام بإمارة الشارقة" بدولة الإمارات العربية المتحدة في مجال المسرح (المركز الثاني) عام ٢٠٠٠ – عن مسرحية "عاصمة للبيع".

* جائزة "أحمد فتحي عامر" في مجال الشعر (المركز الثاني) من "الهيئة العامة لقصور الثقافة" – مصر – الدورة الأولى – ٢٠٠٣.

* جائزة "أحمد فتحي عامر" في مجال الرواية (المركز الثالث) من "الهيئة العامة لقصور الثقافة" – مصر – الدورة الثانية – ٢٠٠٤ – عن رواية "القاهرة – بيروت – باريس".

* جائزة أفضل قصيدة (المركز الثاني) من "نادي جازان الأدبي" بالمملكة العربية السعودية في المسابقة الثقافية لعام ١٤٢٣ هجرية – عن قصيدة "بقصائدي ويقيني".

* * * * *

مساهمات أخرى

- مقرر أمانة الدعوة والتثقيف بحزب العمل (١٩٩٣ – ١٩٩٦).
- أحد مؤسسي حزب "الوسط المصري" (١٩٩٨).
- باحث في "المركز الدولي للدراسات" (١٩٩٨ – ٢٠٠١).
- يشرف على تحرير الصفحة الدينية بجريدة الدستور – مصر (٢٠٠٥ –...
- شارك في تأسيس "مركز المستقبل للدراسات والأبحاث" – مصر (المدير التنفيذي – سابقا).
- عضو "المنظمة المصرية لحقوق الإنسان".
- عضو "رابطة الأدب الإسلامي".
- رئيس نادي الأدب ببيت ثقافة قويسنا (٢٠٠٥ –....
- عضو نادي الأدب المركزي بفرع ثقافة المنوفية (٢٠٠٥).
- عضو مؤتمر "أدباء مصر في الأقاليم".
- عضو الأمانة العامة لمؤتمر "أدباء مصر في الأقاليم" (٢٠٠٦) (٢٠٠٧).
- عضو أمانة مؤتمر إقليم وسط وغرب الدلتا الثقافي (٢٠٠٧).
- منسق "حركة حماية حقوق الناخب" (حماية).
- قُـــدِمت ورقته الفكرية: "ماذا أعطى الإسلام للبشرية" في أول مؤتمرات "اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم" (لندن – نوفمبر ٢٠٠٢).
- شارك في العديد من المؤتمرات العلمية والثقافية في مصر ولبنان وليبيا والإمارات.
- شارك في عشرات البرامج التلفزيونية الثقافية والسياســية في مختلــف القنــوات

الفضائية المصرية والعربية وأهمها:

إقرأ – العالم – دريم – المحور – **MBC** – شبكة الأخبار العربية **ANN** – قناة التنـــوير – القناة الثقافية – قناة الأخبار – المجد – الحرة – نيو بي في – أوربيت.....

E - Mail: mmshikh@hotmail. com mmshikh@maktoob. com

* * * * *

obeikandl.com